نُبَذٌ مِن

مَقَاصِدِ الكِتَابِ العَزِيزِ

تأليف

سُلطان العُلماء

العِزّ بن عبد السّلام

عِزّ الدّين عبد العزيز بن عبد السّلام السُّلَمي

المتوفى سنة ٦٦٠ هجرية

قدّم له

الشيخ عبد الغني الدّقر

حقّقه وعلّق عليه

أيمن عبد الرزاق الشوّا

الطّبعةُ الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

النّاشر: المُحقّق

طُبعَ في مطبعة الشّام

عددُ النسخ: ١٥٠٠

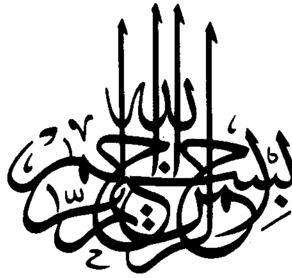
رقم الموافقة: ٢٣٦٣٥
تاريخها ١٩٩٤/٧/١٩

توزيعُ مكتبةِ الغزّالي

دمشق - حلبوني - شارع خالد بن الوليد - ص.ب ٤٤٨

هاتف ٢٢٣٥٠٥٢

نُبَذٌ مِن
مَقَاصِدِ الكِتَابِ العَزِيزِ



٧ـ مضمون الكتاب



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على أشرف النبيين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد: فإن الإمام العز بن عبد السلام سلطان العلماء هو رجل القرن السابع وما يليه غير مدافع اجتهاداً وعلماً وعقلاً وذكاء وصدعاً بالحق، مع كثرة كبار العلماء في هذه العصور وخصوصاً في القرنين السابع والثامن.

وذلك لأن الإمام العز لم يكن إمَّعةً لشيوخه، ولا للكتب التي قرأها، أو أقرأها، بل لم يكن مستسلماً لإمام مذهبه، ولا متعصباً له، وهمه الأكبر أن يبحث عن الحق والرأي الصحيح في كل مادةٍ من علم ما، دقيقة أو جليلة، بعقل وتمحيص وإنصاف، فإذا ظفر بالدليل القاطع أخذ به ولو خالف شيخه وخالف الكتاب وخالف مذهبه، وهذه هي صفة العالم الحق الذي لا رائد له إلا الدليل الثابت الصحيح، ولو نطق به من لم يأبه الناس له، وكان ينعى على أولئك الذين سُمُّوا بالعلماء تمسكهم وتعصبهم الشديد لما يحكيه الكتاب أو المذهب وإن جافاه الدليل الصريح الصحيح.

والعز بن عبد السلام عالم جليل من علماء الدين والقضاء، فإذا رأى الدليل صريحاً في كتاب الله أو في الثابت من حديث رسول الله ﷺ قال به، ولم يبال بقول من قال من كبار المجتهدين أو كبار الفقهاء.

وقد صنف الإمام العز كثيراً من الكتب في مواضيع مختلفة، وكلها على طريقته في التدقيق والتمحيص وعدم التقليد، فإذا كان النص قطعي الثبوت قطعي الدلالة قال به وعمل، ولم يبال بمن خالف أو ردَّ أو انتقد.

ونحن هنا في معرض كتاب له سماه «مقاصد الكتاب العزيز» وهو كتاب مفيد وجيد، وموضوعه في بعض مجاز كتاب الله ويقوم بتحقيقه الشاب الفاضل السيد أيمن الشوا.

ويجب على العالم المسلم بل يجب على كل مسلم أن يتفهم مقاصد كتاب الله أو على أقل تقدير أن يفهم ما يقرأ من كتاب الله.

وما أحد بقادر على أن يطلع على أسرار كتاب الله ومقاصده وأحكامه وروائع أسلوبه وإعجازه حتى يمارس كلام العرب ويخوض في نثره وشعره، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يحفظ من شعر العرب شواهد على القرآن الكريم مئات الألوف من الشعر العربي ولذلك كان أعلم الناس بتأويل كتاب الله.

فرحم الله الشيخ الجليل الإمام عبد العزيز بن عبد السلام على تصنيفه هذا الكتاب، وبارك الله بالمحقق راجياً له دوام التوفيق وسداد الرأي وحسن المثوبة من الله تعالى.

عبد الغني الدقر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أنزلَ القرآن ليكون للعالمين نذيراً، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمدٍ الذي جاءَ بالهُدى ودينِ الحقِّ ليُظهرَهُ على الدِّين كله، وعلى آله وصحبه.

وبعد: فإن القرآن الكريم نزل هدى ورحمةً للعالمين يخاطب الأجيال كلها؛ فهو حبل الله المتين، والنور المبين، إلى يوم الدين؛ لذا كان من الحق على كل مؤمن يدعو بدعاية الله، ويقوم بحقها الواجب عليه أن ينشر هدى القرآن، ويبين مقاصده،وأن يوجه الأنظار إلى نوره ليقتبس الناس منه، ويستضيئوا به، ذلك أنه وإن كان لا يخلو الناظرُ فيه من نور ما يُريه، ونفع ما يوليه، فإنه:

كالبَدر من حيثُ التفَتَّ رأيتَه   يَهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كَبِد السماء وضوءُها   يَغشى البلادَ مشارقاً ومغاربا

وفي الحق أن تبليغ هدى القرآن للناس أمرٌ لا مناصَ منه، ولا سبيل للخروج من تكليف المؤمنين إقامة الحجة به.

ولقد سَعِد المسلمون بهذا الكتاب الكريم الذي جعل الله فيه الهدى والنور ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤] وأيقنوا بالتجربة أنه لا شرفَ إلاَّ والقرآن سبيل إليه،ولا خير إلاَّ وفي آياته دليل عليه، مقاصدُه الأمرُ باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها، فراح العلماء يبحثون عن معانيه ليقفوا على ما فيه من دروس وعِبَر، وأخذوا يتدبرون آياته ليستنبطوا من مضامينها ما فيه سعادةُ الدنيا والآخرة.

ولا شك أن البحث في القرآن يعدُّ في مقدمة العلوم كلِّها؛ لصدارته وفضله ومنزلته، وهو أَجَلُّ العلوم كلِّها لمنزلته الرفيعة والمفضلة بين العلوم، وهو الباعث وراء تطور علومه ونهضتها وعلوم العربية وهمتها. وقد تسابق السلف الصالح ببحث علوم القرآن والتوسع في بيان إعجازه وفضائله، وفي البحث عن تفسيره وبيانه.

إنَّ في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتَّسَعاً بالغاً، وإن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل، والسماعُ لابدَّ منه في ظاهر التفسير لينتفي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ويتحقق قوله ﷺ: «إنَّ القرآن ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه»، أي: احملوه على أحسن معانيه. وفي هذا دلالة ظاهرةٌ كما يقول الإمام السيوطي على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى.

ومن هنا كان عمل الإمام العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء والذي قال بحقّ فيه الإمام السبكي: «شيخ الإسلام والمسلمين، وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، المطَّلِع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها».

أمَّا الكتاب الذي نحن بصدده فهو ـ كما سماه العز ـ نُبَذٌ من مَقاصِدِ الكتابِ العزيز.

والنُّبَذُ في اللغة: الشَّيءُ القليلُ، والنُّبذَةُ: الشيء اليسير؛ يُقال: أصابَ الأرضَ نُبَذٌ مِنْ مَطَر، أي شيء يسير. وفي حديث أنس رضي الله عنه في وصفه ﷺ: «ما في رأسه ولحيته بياض إلا نبذ يسير».

والمقَاصِدُ: جمع مَقْصَد (بفتح الصاد). مصدر ميمي، يُقال: هو على قَصْد أي رُشَد، وطريق قصد أي سهل.

وفي مقاييس اللغة: قَصَدَ: القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان الشيء وأَمِّه.. والأصل: قَصَدْتُه قَصْداً ومَقْصَداً.

وفي المصباح المنير: مَقْصَد يجمع على مقاصد. وفي أساس البلاغة: وإليكَ قَصْدي ومَقْصَدي، وتَنَجَّزْتُ منه أغراضي ومَقاصِدي، ومن هذا التعريف نجد المراد من المقاصد هنا الأهداف والغايات، نقول: مَقْصَدٌ حسن أي هدف حسن وغاية حسنة، ومن هنا يبيِّن المؤلف أنَّ: معظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها، فلا نسبة لمصالح الدنيا ومفاسدها إلى مصالح الآخرة ومفاسدها؛ لأن مصالح الآخرة خلود الجنان ورضى الرحمن مع النظر إلى وجهه الكريم، فياله من نعيم مقيم، ومفاسدها خلود النيران وسخط الديّان مع الحجب عن النظر إلى وجهه الكريم، فياله من عذاب أليم..

أمّا أصل الكتاب هذا فهو جزء ختم به المؤلف كتابه القيِّم: **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، وهو كتاب لا يُعنى به إلاَّ المتخصصون في علم البلاغة، لذلك لم يحظ بعناية الباحثين عامة، ولا المتخصصين في علم العربية، العناية الجديرة، بل لعله لم يكن مما عرف من الكتب التي تداولها العلماء والأدباء، مما خلفه القدماء عامةً، والإمام العز خاصةً، على نفاسة الكتاب وجلالة قَدْرِ مؤلِّفه.

وقد رأيتُ بعد إمعان النظر واستشارة بعض العلماء والباحثين أن يُنْشَرَ هذا الجزءُ الهامُّ والنافع جداً للأمة، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: هذا البحث موجز غني في علوم القرآن قد عمل فيه المؤلف جهده لبيان مقاصد القرآن وثمراته وفوائده، ليس له مثيل إلاَّ في أثناء الكتب الطوال التي يصعب على الكثير الحصولُ عليها، ككتب التفسير وعلوم القرآن، والحقُّ أنَّ في تراثنا كتباً لا ينهض بها تأليفاً وقراءة إلاَّ

عالم، ولا يقوى عليها إلاّ مختص، وكتاب الإشارة إلى الإيجاز إنما يهتم به المتخصصون في علم البلاغة، أما ما يتعلق بمقاصد القرآن فيفيد منه كل قارىء.

الثاني: كان هذا الكتاب مرجعاً من مراجع كثير من الكتب التي أُلِّفَت بعد الإمام العز، فقد استفاد منه الإمام ابن قيم الجوزية في (بدائع الفوائد) وناقش كثيراً من مسائله، وكذلك استفاد الإمام الزركشي في (البرهان في علوم القرآن)، والسيوطي في (معترك الأقران في إعجاز القرآن) و (الأشباه والنظائر) و(الإتقان في علوم القرآن) وغيرها.

الثالث: العز خليق بالإعجاب، جدير بالإعظام، فقد أخلص نفسه وفكره وعقله لدينه ولغته، وقضى حياته العامرة مجاهداً في سبيل إعزازهما، والتمكين لهما في نفوس الأمّة كلها، ودرء شبه أعداء الدين والعربية، بما ألَّف من كتب ودرَّس من دروس، كما أن هذا الإمام قد تَحلَّى بصفاتٍ حميدةٍ، ومواهب فذَّة تؤهله لأن يحتل مكانه المرموق في عالم العظماء والمتفوقين وفي دنيا العطاء والبناء، ومع ذلك فإن نصيبه من الشهرة قليل، وما كتب عنه من المؤلفات الحديثة نادر محدود، ومعرفة الناس به تكاد تكون معدومة. وذلك أمر من شأنه أن يدعو الكُتَّابَ والمؤرخين والأدباء المعاصرين لسدِّ هذا النقص في مكتبتنا العلمية التاريخية وأن يملؤوا هذا الفراغ، وأن يقوموا بتعريف الناس بهذا الشيخ الإمام ويجلوا لهم شخصيته القوية الحازمة في صورتها الحقيقية الزاهية، وأن يبرزوا ملامح التفوق والنبوغ ومواطن العظمة الإنسانية، فيقربون الشيخ الإمام إلى أذهان الناس وقلوبهم وعقولهم ويسدِّدون دَيْناً للشيخ في أعناقنا جميعاً جزاء ما قدَّمه لأمته والإنسانية من خير كثيرٍ وعطاءٍ نافع وفير، ولاسيما في علوم القرآن والتفسير.

الرابع: موضوع البحث مقاصد الكتاب العزيز من أشرف ما صنف في

علوم القرآن وأجلِّ ما قصده بالتفهم كل إنسان، لما احتوى عليه من الحق والبيان، وأظهر من الحجة والبرهان، ذكر فيه المؤلف شذراتٍ من أحكام القرآن وأوامره ونواهيه، ونوّه بما اشتمل عليه البيان القرآني من ذكر صفاته الحُسنى، وعدَّد فصولاً مما اشتمل عليه من ذكر مدح الفعل ترغيباً فيه وما ذكر من ذم الفعل تنفيراً منه بأمثلة وافية، وخصص فصولاً حول حجج القرآن الكريم، وإثبات صدق الرسول ﷺ والتمنن بإرساله تنبيهاً على عظم تلك النعمة لتشكر، وفصولاً من التَّمنن بالتوفيق للإيمان والتَّمنن بالمنافع والأرزاق وأنواع ذلك، وأفرد فصلاً للحديث عن ضرب الأمثال في القرآن وآخر في قصص القرآن، وفي الحديث عن بيان اللغات التي نزل بها القرآن، وفي معنى الحروف السبعة.

ومن أنفس ما تحدث عنه العلماء في القرآن هو إعجازه، فلذلك خَصَّص الإمامُ العزُّ فصلاً حول الإعجاز، عَدَّدَ أهم ما كان به القرآن الكريم معجزاً، في إيجازه وبلاغته، وفي بيانه وفصاحته، وفي رصفه الذي أخرجه عن عادة العرب في النظم والنثر وسائر فنونهم، وفي أن قارئه لا يملُّه، وفي ازدياد حلاوته مع كثرة تلاوته، وفي إعجازه الواسع وإخباره بما مضى وعما سيكون، وفي اشتماله على العلوم التي لم تكن فيها آلتها ولا تعرفها العرب ولا يحيط بها أحد من الأمم.

ومن أهمِّ الآراء التي نجدها في هذا الكتاب إشارةُ الإمام العز إلى أن الغرض من التفسير هو الوقوف على مقاصد القرآن المفيد للأمور الدينية، وعدَّد من مقاصد القرآن أنواعاً، هي:

ـ الطلب.

ـ الإذن والإطلاق.

ـ النداء.

ـ مدح الأفعال في القرآن.

- مدح الفاعلين لأجل الفعل الذي وُصِفُوا به.
- ذم الأفعال.
- ذم الفاعلين لأجل الفعل الذي وُصِفُوا به.
- الوعد بالخير العاجل.
- الوعد بالخير الآجل.
- الوعيد بالشر العاجل.
- الوعيد بالشر الآجل.
- الأمثال.
- التكرير.

وتعرَّض للحديث عن الأحكام الضرورية للتفسير، فبيَّن أن أولى الأقوال في التفسير ما دلَّ عليه الكتاب في موضعٍ آخر أو السنةُ أو إجماعُ الأُمَّة أو سياق الكلام.

ونبَّه إلى أنه يجب أن يُحْمَلَ القرآن على أصحِّ المعاني وأفصح الأقوال؛ ذلك أن بعض النحاة يُقدِّر ما يقتضيه علم النحو ولكن يمنع منه أدلة شرعية.

وفي الكتاب حديث عن العام والخاص، والقراءات القرآنية، والحقيقة والمجاز، والتقديم والتأخير، مما يختص بعلم البلاغة وتضافرها مع علوم القرآن.

وختم الكتاب بالحديث عن الحكمة من نزول القرآن في نيّف وعشرين سنة، وذكر فوائد حول أسماء القرآن وتقسيم سوره، وفصلاً حول انقسام التفسير ومعنى قوله ﷺ: «القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه».

وبيَّن أقوال ابن عباس في معرفة اللغة والإعراب وأن معرفة القرآن

تتوقف على معرفتهما، وذكر كلامه المشهور في أن الشعر ديوان العرب وأن تفسير القرآن على أربعة وجوه وتفصيل ذلك.

هذا وإنَّ من أبرز جوانب شخصية الإمام العزّ في هذا الكتاب ملكته الأصيلة في فهم القرآن ومقاصده فهماً راسخاً شاملاً عقلياً دقيقاً، وروحانيته المشرقة المتصلة بالله، تلمسها في كل سطر من سطور هذا البحث وفي مؤلفاته جميعاً.

وإن التماس عمق اللباب القرآني عمل لا يتصدى له إلا من تَمَكَّنَ في علوم اللغة والفقه والأصول وأسباب النزول، ويحق للعز مناقشة هذا البحث لقدرته ولعلومه المتعمقة الأصيلة.

والمطالِع لهذا الكتاب سيجد جهداً كبيراً وعميقاً، أضفى عليه العز قدرةً على تبويب البحث ـ كما هو عادته في كتبه ـ وعمقاً في التفسير وشمولاً في البحث وإحاطة لمراد الآيات البينات.

عملنا في الكتاب:

ومن أجل هذه الموضوعات الهامة كان لابدَّ من تيسير الكتاب بخدمته خدمة تحقق النص، وترمم جانباً من الثغرات، وتذلل بعض الصعوبات وتصوب نصيباً من الاختلال وتيسِّر تناوله وتنسق مسارده الفنية ثم تضعه بين أيدي الباحثين والقرّاء.

وقد استعنت على تقويم النص بالرجوع إلى الطبعة الأولى للكتاب، إذ تم طبعه في رمضان ١٣١٣ هـ، في المطبعة العامرة بالآستانة كما جاء في آخر الكتاب، وكان من عملي:

١ـ عزوت الآيات القرآنية إلى السور مع ضبطها على المصحف، والإشارة إلى اختلاف القراءات إن وجدت، مع بيان من قرأ بها.

٢ـ خرَّجْتُ الأحاديث النبوية الشريفة من أهم مدونات السنة وكذلك أقوال المفسرين من مصادرها.

٣ـ شَرَحْتُ المفردات اللغوية الواردة في النص، وذلك بالرجوع إلى مصادر اللغة المختلفة، وكتب غريب القرآن وغريب الحديث، وكتب المؤلف نفسه.

٤ـ عَرَّفْتُ بالأعلام مع الإشارة إلى مصادر ترجمتهم.

٥ـ ذكرتُ معاني بعض الآيات التي أوردها المؤلف عَرَضاً، من خلال كتب التفسير المعتمدة كجامع البيان والجامع لأحكام القرآن، وبالاستناد إلى أسباب النزول.

٦ـ صحَّحْتُ النصَّ وخلَّصتُه من شوائب التصحيف والتحريف ونحو ذلك. ووضعت بعض الزيادات فيما يتطلبه النص، وأشرت إليها بمعقوفتين [ ].

٧ـ علَّقْتُ على المواضع التي تقتضي ذلك؛ بالاستعانة بكتب المؤلف نفسه ككتاب قواعد الأحكام والإمام في بيان أدلة الأحكام، أو من كتب علوم القرآن كالإتقان في علوم القرآن وكتب التفسير ونحو ذلك.

وأخيراً: فما أحوجَ المسلمين إلى من يعرِّفُهم بكتاب ربهم، ويعينهم على تفهُّم أسراره وبيان مقاصده، ويوقفهم على حقيقة إسلامهم، فجزى الله الإمامَ العزَّ بنَ عبد السلام على كتابه هذا خيرَ الجزاء، والله أسألُ أن يزيدَنا فضلاً وإحساناً وتوفيقاً، إنَّه سميع مجيب.

أيمن عبد الرزاق الشوا

دمشق ١٠/١٠/١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله الذي أكرمنا بكتابه، وشرَّفنا بخطابه، وأدَّبنا بآدابه، وجعَلَنا من أنصاره وأحزابه، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه].

أمّا بعدُ: فإنَّ الله سبحانه رغَّب في الطَّاعة[١] والإيمان[٢] بما رتَّبَ عليهما من ثواب الجِنَان ورِضَاء الرحمن، وخَوَّفَ من الكُفْرِ[٣] والفُسُوقِ[٤] والعِصْيان[٥] بما رتَّب عليهما من عذاب النيران وسُخْط[٦]

---

(١) الطاعة: علامة لامتثال كل أمر، واجتناب كل نهي. (الإمام في بيان أدلة الأحكام ١٢٨، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ص ٧٧).

(٢) الإيمان: هو عبارة عن تصديق القلب حقيقةً، وعن العمل بمواجب التصديق مجازاً، وقد يطلق الإيمان على طمأنينة القلب وسكونه، وعلى الإقرار باللسان. (معنى الإيمان والإسلام للعز بن عبد السلام ص ٩ـ١٠).

(٣) الكُفْر: نقيض الإيمان. قال بعض أهل العلم: الكفر على أربعة أنحاء؛ كفر إنكار بألا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق، من لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (لسان العرب: كفر).

(٤) الفُسُوق: الترك لأمر الله عز وجل، والخروج عن طريق الحق. وقيل: الفسوق الخروج عن الدين، وكذلك الميل إلى المعصية، كما فسق إبليس عن أمر ربه، أي جار ومال عن طاعته.

(٥) العِصْيان خلاف الطاعة، قال الإمام العز في الحامل على العصيان: أصل المعاصي أربعة أسباب:
أحدها: الشهوات والأفراح واللذات. الثاني: النفرة من الغايات المؤلمات. الثالث: الغفلة عما في المعاصي من جلب مفاسد الدارين ودرء مفاسدهما. الرابع: الغفلة عن عظمة الله وجلاله. (قواعد الأحكام ص ٥٢).

(٦) السُّخْطُ: الكراهية للشيء وعدم الرضا به، ومنه الحديث: «إن الله يسخَطُ لكم كذا» أي يكرهه لكم ويمنعكم منه، ويقال: البرُّ مرضَاةٌ للربِّ مسخَطَةٌ للشيطان. (لسان العرب، أساس البلاغة: سخط).

الديَّان[1]، فطوبى لمن أطاعه، واتَّقاه والويلُ لمن خالَفَه وعصاه.

أنزل كتابَه الكريم نصائح لعبادِهِ ليدَّبَّروا آياته[2]، فيعملوا بمحكمه ويؤمنُوا بمتشابهاته[3] ليسعدوا في الدنيا بمعرفته وطاعته، ويفوزوا في الآخرة بقُربه وكرامته، فجعل كتابه مشتملاً على أحكامٍ[4] وأخبارٍ مؤكِّدةٍ للأحكام[5].

---

(١) الدَّيّان: قال الجوهري في الصحاح: قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣] أي مجزيون محاسبون، ومنه الديَّان في صفة الله تعالى، وقال ابن منظور: الديَّان من أسماء الله عز وجل معناه القاضي، والديَّان القهَّار.

(٢) التدبر في القرآن: التفكر في معانيه، قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: ٢٤]: دَلَّتْ هذه الآية على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه، فكان في هذا ردٌّ على فساد قول من قال: لا يؤخذ من تفسيره إلا ما ثبت عن النَّبي ﷺ، ومنع أن يُتأول على ما يسوغه لسان العرب، وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستدلال وإبطال التقليد. (الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٩٠).

(٣) قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] وقد اختلف في المحكم والمتشابه ما هو وفي تفسيره، وهل المتشابه مما يختص الله بعلمه؟ فعن ابن عباس: المحكم: ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما نؤمن به ونعمل به.. وقيل في المتشابه: إنه المنسوخ والمقدم والمؤخر والأمثال والأقسام وما يؤمن به ولا يعمل به، وقال مقاتل: هي الحروف المقطعة في أوائل السور، وروى ابن جرير عن ابن مسعود عن النَّبي ﷺ: «أحِلُّوا حلاله، وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: كلٌّ من عند ربنا». (ينظر الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٩ـ١١، الحدود الأنيقة ٨٠).

(٤) الأحكام جمع حكم؛ القضاء في شيء أنه كذا أو ليس بكذا، سواء ألزم أو لم يلزم العلم والفقه، وهو عند الأصوليين: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير. وذكر العز أن الأحكام ضربان: أحدهما: ما كان طلباً لاكتساب فعل أو تركه.
والثاني: ما لا طلب فيه، كالإباحة ونصب الأسباب والشرائط والموانع والصحة والفساد... (الإمام ص ٧٥ـ٧٦، إرشاد الفحول ص ٦).

(٥) قال الإمام العز ما نصُّه: وقد نظرت في كتاب الله فوجدته ينقسم إلى أقسام: =

فالأحكامُ: حَظْر[1] وإيجاب[2]، وكراهةٌ واستحباب[3]، وإذن وإطلاق[4].

وتُعـرَف الأحكـام بصيغهـا[5] . . . .

= أحدها الثناء على الإله والثاني الأحكام؛ والثالث توابع الأحكام ومؤكداتها وهي أنواع (قواعد الأحكام ٢٣٢ـ٢٣٣).

(١) الحظر: الحَجْر وهو خلاف الإباحة، والمحظور: المحرَّم، وهو ما يثاب على تركه ويعاقب على فعله، ويرادفه الحرام والمعصية والذنب (التعريفات للجرجاني ٨٩، الحدود الأنيقة ص ٧٦، وانظر كتاب: الدرر المباحة في الحظر والإباحة للنحلاوي).

(٢) الإيجاب من وجب الشيء أي لزم يجب وجوباً، وأوجبه الله واستوجبه أي استحقه، والواجب والفرض عند الشافعي سواء، لأن الواجب عنده هو ما طلب الشارع فعله على وجه الحتم والإلزام، ويثاب على فعله ويعاقب على تركه، وقد فرّقوا بين الواجب والفرض في الحج، فقالوا: إن الفرض فيه لا يسقط بكفارة، وأما الواجب فيه كرمي الجمار والمبيت بمنى فيسقط بالكفارة، وفرق بينهما أبو حنيفة فالفرض عنده آكد من الواجب، وهو عنده ما ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه، وأما الواجب فما ثبت بدليل ظني فيه شبهة (لسان العرب: وجب، الحدود الأنيقة ٧٥ـ٧٦).

(٣) الاستحباب ويرادفه المندوب والنفل والتطوع. (الحدود الأنيقة ٧٦).

(٤) لهذه الأحكام تعريفات دقيقة في مجال الأمور الشرعية، فإن كان طلب الكسب طلباً جازماً فهو الواجب، وإن كان غير جازم فهو المندوب، وإن كان طلب الترك طلباً جازماً فهو الحرام، وإن كان غير جازم فهو المكروه، وإن لم يكن الخطابُ متعلقاً بطلب كسب أو ترك فهو الإباحة. (انظر منتهى السول في علم الأصول ص ٣١، الأحكام للآمدي ١/٩٦، الإمام ص ٧٥).

(٥) صيغة طلب الفعل تكون بفعل الأمر كقوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج: ٧٨] والفعل المضارع المقرون بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] والمصدر النائب عن فعل الأمر وذلك كقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] واسم فعل الأمر وذلك كقوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] أمّا صيغة طلب الترك فتكون بالفعل المضارع المقرون بلا الناهية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] وصيغة الأمر الدالة على الكفّ كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. =

أو بما رُتِّبَ على متعلقاتِها من خير الدنيا والآخرة أو شرِّهما.

وأمَّا الأخبارُ فمدح وذمٌّ، ولوم وعَتْبٌ، ووعظٌ وتذكير، وإنذارٌ وتبشير، وقَصَصٌ وأمثال، وتَمَنُّن بالإنعام والإفضال، وكذلك الحجج على تحقيق الحق وإبطال الباطل مؤكدة لاتباع الحق ورفض الباطل.

فكل فعل كسبيٍّ[1] من أفعال القلوب[2] أو الأبدان مدحه الله أو مدح فاعله لأجله، أو رتَّبَ عليه خيراً عاجلاً أو آجلاً فهو مأمور به[3]، ويندر وقوعه مباحاً إذا رتب عليه خير عاجل[4].

= (الأحكام للآمدي ٢/ ١٤١، الإمام ٧٩-٨٠، بدائع الفوائد ٣/ ٢-٣).

(١) الفعل الكسبي هو الفعل الصادر عن اختيار المكلف، والمفضي إلى اجتلاب نفع أو دفع ضر، وأكثر المتكلمين على أن التكليف لا يتعلق إلا بما هو من كسب العبد من الفعل أو الترك، وقد بينها الإمام العز بوضوح في كتابه (قواعد الأحكام ٥٤٠، الأحكام للآمدي ١/ ١٤٧، الإمام ص ٧٧).

(٢) ذكر العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام أنَّ أكساب الإنسان أربعة أقسام: أحدها أكساب القلوب. القسم الثاني: أكساب الحواس الخمس. القسم الثالث: الأقوال. القسم الرابع من الأكساب الأفعال. وخصص فصلاً للحديث عن أفعال القلوب والجوارح في كتابه: (شجرة المعارف) فذكر أن أفعال القلوب أنواع: أحدها المأمورات؛ كالعرفان والإحسان، الثاني: المنهيات؛ كالكفران والطغيان، الثالث: المعفوّات كالخطأ والنسيان. الرابع: المباحات من المآكل والمشارب والملابس والمناكح وغير ذلك مما أذن فيه الديّان وأباحه الرحمن. (قواعد الأحكام ٥٤٠-٥٤٣، شجرة المعارف ٤٨).

(٣) الأمر هنا يشمل الجازم وهو الوجوب وغير الجازم وهو الندب.

(٤) اختلف الأصوليون في الإباحة، هل هي حكم شرعي أم لا؟ والجمهور على أنها حكم شرعي؛ وذلك أن وجودها يتوقف على وجود الشرع، بمعنى أن للشرع تأثيراً فيها وهذا الرأي هو الراجح، أما الرأي الآخر فلبعض المعتزلة، قالوا: إنَّ المباح لا معنى له سوى ما انتفى الحرج عن فعله أو تركه، وذلك ثابت قبل ورود الشرع. (ينظر الأحكام للآمدي ١/ ١٢٤، المستصفى ١/ ٧٥، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ١/ ١١٢، الإمام ص ٨٢ و ص ١٠٥).

وكل فعل كسبي من أفعال القلوب أو الأبدان ذمَّه الله أو ذمَّ فاعله لأجله أو رتَّب عليه شراً عاجلاً أو آجلاً فهو مَنْهيٌّ عنه[1]، وكما حثَّ على طاعته بما رتب عليها من الخير العاجل والآجل فكذلك حَثَّ عليها بما ذكره في كتابه من صفاته؛ فإنه ذكرها لعباده ليعرفوها ويعاملوه بما يناسبها من الأحوال والأقوال والأعمال؛ فوصف نفسَه بالربوبيّة ليعبدوه، وبالكمال ليمجدوه، وبالجلال ليوقِّروه، وبالإفضال ليشكروه، وبالجمال ليحبوه، وبالكبرياء ليهابوه، وبالقُرب منهم ليراقبوه، وبسعة الرحمة ليرجوه، وبشدة النَّقمَة ليخافوه، وبالعظمة ليخضعوا لعظمته، وبالعزة ليتذللوا لعزَّته، وبالإحسان إليهم ليرضوا عنه، وبالاطِّلاع عليهم ليستحيوا منه[2]، وبالتفرد بالإلهية لئلا يعبدوا سواه، وبالتوحُّد بالنفع والضر لئلا يعتمدوا إلا عليه ولا يستندوا إلا إليه فتجلَّى لهم في كتابه بصفاته ليحثهم بمعرفتها على التمسك بكتابه والتخلق بآدابه[3]، وقلَّ أن توجد صفةٌ من هذه الصفات إلاَّ

---

(١) المراد بالنهي هنا الجازم وهو الحرام، وغير الجازم وهو المكروه.

(٢) ذكر اطّلاع الرب سبحانه على الفعل قد يدل على الترهيب الدال على النهي، وقد يدل على الترغيب الدال على الأمر، وقد يدل على الأمرين ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤] ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥] ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩] ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩] فإنا إذا تأملنا نظره إلينا واطلاعه علينا استحيينا منه أن يرانا حيث نهانا، أو يفقدنا حيث اقتضانا. (قواعد الأحكام ٢٣٦، الإمام ١٣٢).

(٣) أورد الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله مئةً وسبعةَ عشرَ خُلُقاً، من أتى بواحدة منها دخل الجنة» (نوادر الأصول ٣٥٧، شجرة المعارف للعز ص ٢٩).

وهي مناسبة لما قُرِنَتْ به من الأحكام[1]، حاثةً أو زاجرة عليه، ولكنَّ تلك المناسبة والربط تارةً تكون ظاهرةً جليّةً، وتارةً تكون باطنةً خفية، ولذلك أمثلة:

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] وصف نفسه بالربوبية حَثّاً لهم على عبادته؛ إذ لا يليق بالعبد الذليل إلاَّ عبادة الرب الجليل. وكذلك قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١] ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾[2] [الزمر: ٥٤] ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾[3] [الشورى: ٤٧] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١].

المثال الثاني:

كما أمرهم في الفاتحة بحمده وعبادته وطلب هدايته وإعانته، وصف نفسه أولاً بالربوبية ليعبدوه، وثانياً بالرحمة وهي النعمة ليشكروه، وثالثاً بأنه مالك يوم الدين[4] يوم جزائهم بالثواب والعقاب ليرجوه ويخافوه فليستعدوا للقائه ويؤمنوا ببعثه وجزائه.

---

(١) وكذلك صفات الرب المحتملة للمعاني المتعددة، تحمل في كل سياق على ما يليق به. (الإمام ص ١٦٠).

(٢) الإنابة الرجوع إلى الله بالتوبة، وقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] أي توبوا إليه وارجعوا (لسان العرب).

(٣) الإجابة والاستجابة بمعنى، أي استجيبوا أيها الناس إلى ما دعاكم إليه ربكم من الإيمان والطاعة.

(٤) وذلك قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١-٢] وقد ذكر الإمام ابن القيم أنَّ هذه السورة اشتملت على أمات المطالب العالية أتمَّ اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها. وهي الله والرب والرحمن، وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة. فـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مبني على الإلهية و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مبني على الربوبية وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة: فهو المحمود في إلهيته وربوبيته =

المثال الثالث:

قوله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] وصف نفسه بالربوبية ليعبدوه، وبالتوحد بالإلهية ليوحدوه، وبخلق كل شيء ليشكروه، وبتوكله بتدبيرهم ليعتمدوا عليه ويستندوا إليه، وأما ذكر جماله ففي مثل قوله: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الروم: ٢٧] ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٨] إذا جعلت الأسماء بمعنى المسميات[(١)] كان المعنى له الصفاتُ الحسنى، وكذلك قوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[(٢)] [مريم: ٦٥] ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ

= ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجدّه.

وتضمنت إثبات المعاد وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها، وتفرّد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل، وكل هذا تحت قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (مدارج السالكين ١/ ٧٠، التفسير القيم ٧).

(١) قال أبو عبيدة: الاسم هو المسمى. وقال سيبويه: الاسم غير المسمى، وحقيقة الاسم كل لفظ جعل للدلالة على المعنى، تقول: سميت زيداً بهذا الاسم كما تقول: علّمتُه بهذه العلامة، وفي كتاب سيبويه قريب من ألف موضع أنَّ الاسم هو اللفظ الدال على المسمى، أمّا حجّة من قال الاسم والمسمى واحد فقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله: ﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [الأعراف: ٧١] وقوله: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [يوسف: ٤٠] وقوله: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [النجم: ٢٣].

وأما حجة من قال الاسم غير المسمى ففي قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقوله: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٨] وقوله: ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠]. (ينظر: حجج القرآن ص ٨١، بدائع الفوائد ١/ ١٦-١٧، مسائل خلافية للعكبري ٦٥، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٤٧ ص ٣٢٥).

(٢) أي نظيراً يستحق أن يقال له خالق وقادر وعالم لما كان ويكون؟ ليس إلا من صفات الله عز وجل. ولا شك أن معرفة أسماء الله تعالى وفهم معانيها وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات.

﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الصمد: ٥] وكذلك وصف نفسه بالأعلى لعلوه في ذاته وصفاته[١]، لأن ذاتَه أعلى الذوات قدراً وشرفاً، وكذلك كل صفة من صفاته، وكذلك إذا وصف نفسه بالوحدانية[٢] فإنه متوحدٌ في ذاته وصفاته، فلا شبيه له في ذاته ولا نظير له في شيء من صفاته[٣]، يتحبب إلى عباده بأوصاف جماله ليعاملوه معاملة المحب[٤]، وكذلك بذكر إحسانه ليحبوه؛ فإن للحبِّ سببين، أحدُهما الإحسانُ والإفضالُ[٥]، والثاني الكمالُ والجمالُ، فينبغي أن يُعامَلَ بمقتضى ذلك، فإذا لم يكن له شبيهٌ في الإنعام والإفضال فينبغي أن تكون محبته على الإنعام والإفضال أكملَ من محبة كل منعم مُفْضِل، كيف إذا عُرِفَ أنَّه لا منعمَ غيرُه، ولا مُفضِلَ سواه؟ وكذلك محبة الجلال والكمال ينبغي أن تكون أفضل من محبة كل ذي جلال وكمال، وكذلك ينبغي أن يكون خوفُه[٦] أعظمَ من كل خوف، ورجاؤه أتمَّ من كل رجاء، وكذلك ينبغي ألاّ يعتمد إلا عليه ولا يُستَنَد إلاّ إليه، إذ الأمورُ كلُّها بيديه[٧] فلو عرفَه عبادُه حقَّ معرفتِهِ لم يحتاجوا إلى ترغيبٍ ولا ترهيبٍ بل كانوا يبتدرون أمره تشريفاً بطاعته واجتناب

---

(١) في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١].

(٣) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

(٤) محبة الله وسيلة إلى أن يعامله العبد معاملة المحب لحبيبه: في المبادرة إلى طاعته، والمسارعة إلى كل ما يرضيه واجتناب كل ما يسخطه، وينبغي أن تكون آثار محبته أشدّ من آثار كل محبة وأعظم وأن لا يشبهها شيء. (شجرة المعارف ٥٣).

(٥) وهذا ما يذكر في الأحاديث المشتهرة على الألسنة: «جُبِلَت القلوب على حُبِّ من أحسن إليها» (المقاصد الحسنة ١٧١ـ١٧٢).

(٦) خوفه أي خوف الناس منه، من إضافة المصدر إلى المفعول.

(٧) إن اليد إذا أضيفت إلى الله سبحانه يُراد بها قدرته وجَرَيانُ سلطانه مجازاً، وهو بيانٌ لحاصل معناه. (انظر مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص ٢٦٠، ٣٤٥، ٤٥٧).

معصيته، وكذلك لو عرفوا نُصحَهُ لهم وبرَّهُ إليهم لم يقتصروا إلى أن يحثهم بمدح الأفعال عليها ولا أن يزجرهم بذمِّها عنها.

فصل في مدح الفعل ترغيباً فيه بمدحه

وله أمثلة:

المثال الأول:

في مدح الدِّين وله مثالان؛ الأول قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[1] [البقرة: ١٣٨] مدحها بذلك ترغيباً فيها، والثاني قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

المثال الثاني:

في مدح القول في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] جعل ذلك القول أحسن الأقوال حثاً عليه[2].

المثال الثالث:

في مدح الصَّدقات في قوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[3] [البقرة: ٢٧١] أثنى على إبداءِ الصَّدقاتِ حثاً على إبدائها وجعل إخفاءَها خيراً من إبدائها[4] ..

---

(١) صبغة الله: دينه، ويقال الصبغة الشريعة والخلقة والفطرة (لسان العرب).

(٢) الاستفهام في الآيات بمعنى النفي، أي لا أحدَ أحسنُ...

(٣) لابدَّ من الإخلاص في إظهار الإنفاق.

(٤) قال عليه الصلاة والسلام في السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «ورجل تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شماله ما تنفق يمينه» (صحيح البخاري ١٤٢٣، الزكاة، ومسلم باب فضل إخفاء الصدقة ١٠٣١).

مبالغةً في الترغيب في إخفائها[1].

فصل في مدح الفاعل بفعله حثاً عليه[2]

وذلك في قوله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] وما عطف عليه من أفعالهم إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾[3] [المؤمنون: ١ـ١٠] حثَّهم بمدحه إياهم بالفلاح أولاً، وبما رتَّبَ عليه من إرْثِ الفردوس آخراً[4]، وكذلك قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ـ١٥] يحتَمِلُ أن يُريدَ بالتزكِّي التزكِّيَ بالأعمال الصالحات، ويحتمل أن يريد به التطهر من المعاصي والمخالفات[5]. وكذلك قوله في داود عليه السلام: ﴿نِعْمَ

---

(١) ومن أمثلة مدح الفعل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] (ينظر الإمام في بيان أدلة الأحكام ٨٨).

(٢) الفاعل المكلَّف الذي تعلق بفعله الخطاب الشرعي.

(٣) قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١ـ١٠].

(٤) وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨] (ينظر الإمام ص ٨٩).

(٥) ذكر ابن الجوزي خمسة أقوال في معنى هذه الآية:
أحدها: من تطَهَّرَ من الشرك بالإيمان.
الثاني: من أعطى صدقة الفطر.
الثالث: من كان عمله زاكياً.
الرابع: أنها زكوات الأموال.
الخامس: من تكثَّر بتقوى الله، ومعنى الزاكي: النامي الكثير. (زاد المسير ٩/ ٩١).

﴿ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] مدحه بكثرة رجوعه إلى طاعة ربه ترغيباً في كثرة الرجوع إليها، وكذلك قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨] الآية.. مدحهم بكمال العقول في قوله: ﴿هُمْ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] [الزمر: ١٧ـ١٨] ترغيباً في اتباع أحسن القول[2].

فصل في ذم الفعل تنفيراً منه[3]

وله أمثلة:

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣] ذمهم بتركهم النهي عن قول الإثم وأكل السحت تنفيراً من ترك ذلك[4].

المثال الثاني:

قوله: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[5] [المائدة: ٦٢] ذم عملهم تنفيراً من المسارعة في الإثم والعدوان وأكل السحت.

---

(١) تمام الآية ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧ـ١٨].

(٢) ينظر فصل (في التوبة من الشبهات) كتاب شجرة المعارف للمؤلف ٦٤ـ٦٥.

(٣) ينظر كتاب الإمام في بيان أدلة الأحكام للمؤلف ص ١٠٧.

(٤) هذه الآية من أشدّ الآيات على تاركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الله جمع بين فاعل المنكر وتارك الإنكار في الذم. قال ابن عبّاس: ما في القرآن آيةٌ أشدُّ من هذه الآية. (زاد المسير ٢/ ٣٩١).

(٥) الإثم: الكذب، العدوان: التعدي والظلم، السُحت: المال الحرام وأفحشه الربا والرشا.

المثال الثالث:

قوله: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] ذم كلمة الشرك بالخبث تنفيراً منها كما مدح كلمة التوحيد بالطيب حثاً عليها[١].

فصل في ذم الفاعل بفعله تقبيحاً لفعله

وله أمثلة:

المثال الأول:

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[٢] [التوبة: ٢٨] وصفهم بذلك تنفيراً من الشرك لأن النجس القَذَر.

المثال الثاني:

قوله: ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [التوبة: ٩٥] ذمهم بذلك تنفيراً من النفاق.

المثال الثالث:

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٣] [الحجرات: ٤] ذمهم بقلة العقل تنفيراً من إساءة الأدب على الرسول [ﷺ].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

(٢) وفي أساس البلاغة: لا ترى أنجس من الكاذب ولا أنحس من الفاجر.

(٣) في سبب نزول الآية أقوال، منها أن ناساً من العرب قال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبياً أُسعد الناس به، وإن يكن ملكاً نَعِشْ في جناحه، فجاؤوا فجعلوا ينادون: يا محمد، يا محمد. (زاد المسير ٧/ ٤٥٩، الدر المنثور ٦/ ٨٦).

فصل في المعاتبة على الفعل كيلا يعود فاعله إلى مثله

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾[1] [الأنفال: ٦٧] وقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[2] [التوبة: ٤٣] وقوله: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] في الآية عاتبه على ذلك لئلا يعود إليه أو إلى مثله[3].

المثال الثاني:

قوله: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾[4] [عبس: ٥-١٠].

---

(١) لما هزم الله المشركين يوم بدر وقُتِل منهم سبعون وأُسِرَ منهم سبعون، استشار النَّبي ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً، فقال أبو بكر: يا نبي الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً، وأشار عمر بقتلهم، وفاداهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية. (مسند الإمام أحمد رقم: ٢٠٨ و ٢٢١ مطولاً، أسباب النزول للواحدي ١٣٧، زاد المسير ٣/ ٣٧٩).

(٢) كان ﷺ قد أذن لقوم من المنافقين في التخلف لمّا خرج إلىٰ تبوك، قال ابن عباس: ولم يكن يعرف يومئذ المنافقين، قال عمرو بن ميمون: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما؛ إذنُه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فعاتبه الله كما تسمعون (زاد المسير ٣/ ٤٤٤-٤٤٥).

(٣) الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] نزلت في خطبة رسول الله ﷺ زينبَ بنت جحش لزيد بن حارثة. قوله: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ أيَ تسرُّ وتضمر ﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ هو عهدٌ عهِدَه الله إليه أن زينب ستكون له زوجة، فلما أتى زيد يشكوها قال له: أمسك عليك زوجَك واتق الله، وأخفى في نفسه ما الله مبديه (زاد المسير ٦/ ٣٨٥-٣٨٧).

(٤) قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ يوماً يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام =

المثال الثالث:

قول موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾[1] [طه: ٩٢].

فصل في لوم الفاعل استصلاحاً له

وله أمثلة:

المثال الأول:

قوله سبحانه لآدم وحواء: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢] لامهما على متابعة الشيطان كيلا يعودا إلى مثله.

المثال الثاني:

قول موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾[2] [طه: ٨٦].

= وأبياً بن خلف ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم، فجاء ابن أم مكتوم الأعمى فقال: علمني يارسول الله مما علمك الله، وجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أنه مشتغل بكلام غيره حتى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ لقطعه كلامه، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وأقبل على القوم يكلمهم، فنزلت هذه الآيات. (زاد المسير ٩/ ٢٦ـ٢٨).

(١) وأمره هو قوله في وصيته إياه: اخلفني في أهلي وأصلحْ. (زاد المسير ٥/ ٣١٦).

(٢) ذُكر أن الوعد فيه ثلاثة أقوال أحدها: إعطاء التوراة، والثاني: قوله: ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [المائدة: ١٣] وقوله: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾ [طه: ٨٢] والثالث: النصر والظفر. وكانوا قد عاهدوه إن مكّنهم الله من ملكة آل فرعون أن يعبدوا الله ولا يشركوا به وينصروا الله ورسوله. (زاد المسير ٥/ ٣١٣ـ٣١٤).

المثال الثالث:

قوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾[1] [آل عمران: ١٥٣].

فصل فيما رَتَّب على الفعل من الهدى والعمل الصالح ترغيباً فيه

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] جعل التقوى وسَدادَ القول موجبين لغفران الذنوب وإصلاح الأعمال ترغيباً فيهما.

المثال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2] [يوسف: ٢٢] جعل إيتاء الحكم والعلم جزاء للإحسان وترغيباً في الإحسان.

المثال الثالث:

قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] جعل الإيمان سبباً للهدى إلى المراشد ترغيباً في لزوم الإيمان.

---

(١) ذكر ابن جرير الطبري عن السُّدي قال: لما شدَّ المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: إليَّ عبادَ الله، إليَّ عبادَ الله، أنا رسول الله. فذكر الله صعودهم على الجبل، ثم ذكر دعاء النَّبي ﷺ إيّاهم. (جامع البيان ٤/ ١٣٢-١٣٣، الإمام في بيان أدلة الأحكام ١٦٤).

(٢) الحديث عن سيدنا يوسف عليه السلام، والمعنى: ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف وحراسته نثيبُ مَنْ أحسَنَ عمله واجتنب المعاصي، فننجيه من الهلكة، ونستنقذه من الضلالة فنجعله من أهل العلم. (زاد المسير ٤/ ٢٠١).

المثال الرابع:

قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] جعل المجاهدة في طاعته سبباً للهداية إلى معرفته[(١)].

فصل فيما رتب على الفعل من ثواب الدنيا

وله أمثله:

المثال الأول:

قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [النحل: ٣٠] وعدهم بالإحسان العاجل ترغيباً في الإحسان؛ فإن النفوس مجبولة على حب العاجل[(٢)].

المثال الثاني:

قوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[(٣)] [هود: ٣] وعد بذلك ترغيباً في التوبة والاستغفار.

المثال الثالث:

قوله: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤٨] ذكر ذلك ترغيباً في الصبر في مواقف القتال.

---

(١) في الآية عدة أقوال منها: مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر، ومنها والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم سبل الثبات على الإيمان، ومثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى، وقال ابن عباس: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. وهذا ما اختاره الإمام العز ههنا وهو يتناول بعموم الطاعة جميع الأقوال. (ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣٦٤ـ٣٦٥).

(٢) كما في قول جرير: والنَّفسُ مُوْلَعَةٌ بحبِّ العَاجِلِ.

(٣) والأجل المسمى قيل هو الموت، وقيل: القيامة، وقيل: دخول الجنة. (الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٤).

المثال الرابع :

قوله : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾[1] [الفتح: ١٨] من العَزْم على الوفاء بالبيعة ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح: ١٨-١٩] رغَّبَهم في الوفاء بالبيعة بما ذكره من رضاه عنهم وبما وعدهم به من المغانم العاجلة.

المثال الخامس :

قوله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣] حَثَّ بذلك على لزوم التقوى وهي فعل الواجبات وترك المحرمات.

فصل فيما رتَّبَ على الفعل من الغفران

وله أمثلة :

المثال الأول :

قوله : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٠] وعدهم بذلك ترغيباً في الإيمان والعمل الصالح.

المثال الثاني :

قوله : ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾[2] [التغابن: ١٧]

---

(١) رضي الله عن المؤمنين الذين أخلصوا نيَّتهم وشهدوا بيعة الرضوان، وسميت بيعة الرضوان لقوله: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ١٨]. (زاد المسير ٧/ ٤٣٤).

(٢) وإقراض الله تعالى مَثَل لتقديم العمل العاجل طلباً للثواب الآجل، والمراد ههنا إما الجهاد المشتمل على بذل النفس والمال، وإما مطلق العمل الصالح. (تفسير الآلوسي ٢/ ١٦٢).

وعد بمضاعفة الأجر وغفران الذنوب ترغيباً في القرض الحسن.

المثال الثالث:

قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] في الآية وعد بذلك ترغيباً في اجتناب الكبائر(١).

فصل فيما رَتَّبَ على الفعل من ثواب الآخرة، وهو كثير

المثال الأول:

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور: ١٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤] وعد بذلك ترغيباً في التقوى التي هي رأسُ مالِ تجارةِ الآخرة، وكذلك وعد الأبرار في سورة الإنسان(٢) بما وعدهم به ترغيباً في البر وهو عبارة عن أنواع الخيرات، فكل نوع من الخير بر، وكذلك قوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾(٣) [المائدة: ١١٩]

---

(١) الكبائر: قيل هي ما لحق صاحبَها عليها بخصوصها وعيدٌ شديد بنص كتاب أو سنة. وقيل: هي كل معصية أوجبت الحدّ. وقيل: هي كل ما نص الكتاب على تحريمه أو وجب في جنسه حدّ. وقد أُلِّفَ في هذا الموضوع كتبٌ خاصة، منها: (الكبائر) للذهبي، ومنها (الجواهر في عقوبة أهل الكبائر) للمليباري، و (الزواجر عن اقتراف الكبائر) لابن حجر الهيتمي، وقد عدّ من أصناف الكبائر سبعة وستين وأربعمئة صنفٍ، كل منها في باب. وخصَّص الإمام العز في كتابه (قواعد الأحكام) فصلاً عنوانه: بيان ما يتميز به الصغائر من الكبائر. وقد عرَّف بعض العلماء الكبائر بأن قال: كل ذنب قُرِنَ به وعيدٌ أو حدٌّ أو لعن فهو من الكبائر. (قواعد الأحكام ٤٦ـ٤٨).

(٢) وذلك الوعد قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٥ـ٢٢].

(٣) يجوز أن يكونوا رضوا في الدنيا بقضائه وفي الآخرة بجزائه، ويجوز أن يكون رضاهم مختصاً بالآخرة. قال الطبري: رضوا هم عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه فيما أمرهم به ونهاهم من جزيل ثوابه، وقال النووي: =

وقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] [القيامة: ٢٢-٢٣].

فصل فيما رتب على الفعل من الخذلان

وله أمثلة:

المثال الأول:

قوله: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾[2] [البقرة: ٩٣].

المثال الثاني:

قوله: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾[3] [التوبة: ٧٧] في الآية حَذَّرَ بإعقاب النفاق من إخلاف الوعد والكذب.

المثال الثالث:

قوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[4] [الصف: ٥].

= رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بما أكرمهم به وأعطاهم إيّاه من الخيرات، والرضا من الله تعالى إفاضة الخير والإحسان والرحمة. (جامع البيان ٧/ ٩١، شرح مسلم للنووي ٤/ ٥٦٥).

(١) ناضرة: أي مشرقة بالنعيم. قال الحسن: حُقَّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق، ورؤية الله عز وجل حق لا شك فيها، والأحاديث فيها صحاح. (زاد المسير ٨/ ٤٢٢-٤٢٣).

(٢) الحديث عن بني إسرائيل، والآية: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥١].

(٣) الحديث عن المنافقين، والآيات ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

(٤) الآيات ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥] ومعنى زاغوا: =

المثال الرابع :

قوله : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣] حَذَّرَ بذلك من نقض المواثيق أو العهود مع الله(١) .

المثال الخامس :

قوله : ﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ﴾(٢) [آل عمران: ١٥٥] .

المثال السادس :

قوله : ﴿ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾(٣) [النساء: ٨٨] .

فصل فيما رَتَّبَ على الفعل من العذاب العاجل ، وهو كثير

كقوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزمر: ٢٦] ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٥] ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ [السجدة: ٢١] ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الطور: ٤٧] ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥] ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾ [الحشر: ٢] .

= مالوا عن الحق، أزاغ الله قلوبهم: أمالها عن الحق جزاءً لما ارتكبوه. (زاد المسير ٨/ ٢٥٣).

(١) أخذ الله ميثاق بني إسرائيل أن يخلصوا له العبادة، ولا يعبدوا غيره. قال مقاتل: أن يعملوا بما في التوراة. والمراد بهذه اللعنة ثلاثة أقوال، أحدها: أنها التعذيب بالفدية، والثاني: التعذيب بالمسخ، والثالث: الإبعاد من الرحمة. (زاد المسير ٢/ ٣١٠-٣١٣).

(٢) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٥٥] ومعنى استزلهم حملهم على الزلة والغلطة بوسوسته.

(٣) ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾ [النساء: ٨٨] ومعنى أركسهم: نكَّسهم وردَّهم إلى حكم الكفر.

فصل فيما رتب على الفعل من عقاب الآخرة

وهو كثير:

كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣] حذَّر بذلك من عصيانه وعصيان رسوله ﷺ، وكقوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣] الآية، حذَّر بذلك من تعمد قتل المؤمنين، وكقوله: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[1] [آل عمران: ١٦١] ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٨].

فصل في إبطال الحَسَنات بالكفر والرياء

وله أمثلة:

المثال الأول:

قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣] بالرياء.

المثال الثاني:

قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾[2] [هود: ١٥] الآية، قيل

---

(١) معنى يَغْلُل: يخون في الغنيمة.

(٢) تتمتها: ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود: ١٥] قال القرطبي: اختلف العلماء في تأويل هذه الآية، فقيل: نزلت في الكفار، بدليل الآية التي بعدها ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٦] وقيل: المراد بالآية المؤمنون، أي من أراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب ولم ينقص شيئاً في الدنيا، وله في الآخرة العذاب لأنه جرَّد قصده إلى الدنيا، وهذا كما قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» =

المراد به المراؤون، وقيل المراد به المنافقون.

المثال الثالث:

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾[1] [الأعراف: ١٤٧].

المثال الرابع:

قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2] [المائدة: ٥].

المثال الخامس:

قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

المثال السادس:

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾[3] [النور: ٣٩].

= وقيل: هو لأهل الرياء. وفي الخبر أنه يقال لأهل الرياء: صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك، فقد قيل ذلك، ثم قال: إنَّ هؤلاء أول من تسعَّر بهم النار، رواه أبو هريرة. (الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٤).

(١) وردت الآية في المطبوع بلفظ: والذين كفروا حبطت أعمالهم، وهو سهو.

(٢) إذا عمل الرجل عملاً ثم أفسده قيل حَبِطَ عمله، وأحبطَه صاحبُه، وأحبط اللهُ أعمالَ من يشرك به، وقال الجوهري: بطل ثوابه. (الصحاح: حبط، لسان العرب: حبط).

(٣) السَّرابُ: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار.
القيعة: جمع القاع، وهو ما انبسط من الأرض، وفيه يكون السراب نصف النهار ولم يكن فيه نبات. أعلمَ الله أنَّ الكافر الذي يظن أن عمله قد نفعه عند الله كظن الذي يظن السراب ماءً، وعمله قد حبط. (زاد المسير ٦/ ٤٠-٤١).

المثال السابع:

قوله: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾[1] [آل عمران: ١١٧]. حذَّر من الكفر والرياء بإحباط الأعمال الصالحات تنفيراً من الكفر والرياء.

فصل في إبطال أجر الحَسَنات بالموازنة بالسيئات

وله أمثلة:

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

المثال الثاني:

قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾[2] [البقرة: ٢٦٦] الآية، مَثَّل إحباطَ الحسنات بالسيئات بإحراق الجنة بالإعصار؛ لأنه مثل لمن عمل بالطاعة أكثر عمره ثم ختم عمله بالمعاصي والمخالفات.

---

(١) في الصِّرّ ثلاثة أقوال: أحدها، أنه البرد.
الثاني: أنه النار، وُصِفَت بأنها صِرّ لتصديتها عند الالتهاب.
الثالث: التصويت والحركة من الحصى والحجارة، ومنه صرير النعل. (زاد المسير ٢/ ٤٤٥).

(٢) تتمتها: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

فصل في إثبات الحق بالحجج ترغيباً فيه

وهي كثيرة[١]:

منها قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٧] ومنها قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٥-٦] ومنها قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤] استدل بإخراج النبات وبخلقه إيانا في بطون الأمهات على أنه قادر على جمع الرُّفات و بعث الأموات[٢] ترغيباً في النظر لذلك لنؤمن بالبعث فنستعد له بالطاعات.

فصل في إبطال الباطل بالحجج تنفيراً منه

وهو أنواع: منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ [العنكبوت: ١٧] ومنها قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] ومنها قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣] استدل بعجزهم على الخلق والرزق على أنهم لا يصلحون للعبادة بخلاف الخلّاق المتكفل بجميع الأرزاق؛ إذ ما من دابةٍ في الأرض إلا على الله رزقها[٣].

---

(١) أفرد الإمام الرازي الحنفي كتاباً مستقلاً سمّاه: (حجج القرآن) وهو كتاب جليل ذكر فيه جميع حجج القرآن بطريق الاستيعاب، وضمَّن ابن القيم كتابه (بدائع الفوائد) فصلاً واسعاً حول الجدل والمناظرات في الكتاب والسنة في الجزء الثالث ص ١٣٥-١٧٥.

(٢) في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

(٣) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

فصل في إثبات صدق الرسول[1] عليه الصلاة والسلام بالحجج حثّاً على اتباعه

وهو أنواع:

منها قوله سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[2] [البقرة: ٢٣] ومنها قوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤] ومنها قوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[3] [يوسف: ١٠٢] ومنها قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾[4] [القصص: ٤٤] ومنها قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ [القصص: ٤٦] ومنها قوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٤٥] ومن إخباره بذلك مع كونه لم يحضره ولم يقرأه من كتب الأولين على نبوته وعلى أن الله سبحانه أخبره بذلك.

---

(١) لا شك أنَّ النظر في صدق الرسول ﷺ وسيلة إلى اتباعه فيما جاء به، واتِّباعُه في ذلك وسيلةٌ إلى سعادة الدنيا والآخرة. (الإمام في بيان أدلة الأحكام ١٦٣ والبرهان المسدَّد في إثبات نبوة سيدنا محمد للنبهاني).

(٢) وسبب نزولها أن اليهود قالوا: هذا الذي يأتينا به محمد لا يشبه الوحي، وإنّا لفي شك منه، فنزلت هذه الآية. (زاد المسير ١/ ٤٩).

(٣) الحديث عن قصة يوسف، قال ابن الجوزي: وفي هذا احتجاج على صحة نبوة نبينا ﷺ؛ لأنه لم يشاهد تلك القصة ولا كان يقرأ الكتاب، وقد أخبر عنها بهذا الكلام المعجز فدل على أنه أُخبِرَ بوحي. (زاد المسير ٤/ ٢٩٣).

(٤) يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلَّم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطىء الوادي، وما كنت من الشاهدين لذلك؛ ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهاناً على قرونٍ قد تطاول عهدها ونسوا حجج الله عليهم وما أوصاه إلى الأنبياء المتقدمين. (زاد المسير ٦/ ٣٢٥).

فصل في التمنن بإرسال الرسول ﷺ تنبيهاً على عظيم تلك النعمة لِتُشْكر.

كل نعمة تَمَنَّنَ اللهُ بها على عباده كان تمننه بها تنبيهاً عليها وعلى فضلها لتشكر(١)

وهي أنواع:

منها قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٢) [آل عمران: ١٦٤]، ومنها قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] ومنها قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ومنها قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(٣) [التوبة: ١٢٨].

فصل في التمنن بالتوفيق للإيمان والعمل الصالح

وهو أنواع:

منها قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾(٤) [الحجرات: ٧]

---

(١) من أفضل ما تمنَّنَ به سبحانه تَفَهُّم كتابه، وتعقل خطابه، ليُتقرب بذلك إليه شكراً على ما أولاه وأبلاه ومنحه وأعطاه، وشكره هو طاعته واجتناب معصيته. (ينظر قواعد الأحكام ٢٣٨).

(٢) بيَّن الله تعالى عظيم مِنَّتِهِ عليهم ببعثه محمداً ﷺ، والمعنى في المنة فيه أقوال، منها أن يكون معنى (من أنفسهم) أي بَشَرٌ مثلهم، وقيل (من أنفسهم) منهم، فشَرُفوا به ﷺ، فكانت تلك المنَّة. (جامع البيان ٤/ ٢٦٣).

(٣) ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ويستأنس في هذا المعنى بقراءة (من أنْفَسِكُمْ) بفتح الفاء، وهي قراءة النَّبي ﷺ وفاطمة رضي الله عنها وابن عباس رحمه الله. (البديع ٥٦).

(٤) الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ=

ومنها قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾[1] [الحجرات: ١٧] ومنها قوله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ومنها قوله: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩] ومنها قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] تمنَّنَ اللهُ عليهم بإنعامه عليهم وإحسانه إليهم ليشكروا ذلك الإحسان بطاعته واجتناب معصيته.

فصل في التَّمَنُّن بصرف العصيان

وهو أنواع:

منها قوله: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧] ومنها قوله[2]: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[3] [يوسف: ٢٤] ومنها قوله: ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾[4] [الأنفال: ٤٣] أي سلّمكم من

= وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

(١) الآية: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

(٢) الحديث عن سيدنا يوسف عليه السلام، الآية ٢٤.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: المخلصين (بكسر اللام) في جميع القرآن. أي أخلصوا دينهم وأعمالهم من الرياء، وحجتهم قوله: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٦] وقوله: ﴿مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٤] وقرأ أهل المدينة والكوفة (المخلَصين) (بفتح اللام) أي الله أخلصهم من الأسواء والفواحش فصاروا مخلصين. (حجة القراءات ٣٥٨-٣٥٩).

(٤) الآية: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ [الأنفال: ٤٣] أي إن نبي الله ﷺ رأى عسكر المشركين في المنام قبل لقائهم في قلة، ولمّا أخبر أصحابه بأنه رآهم في المنام قليلاً كان ذلك تثبيتاً لهم. (ينظر زاد المسير ٣/ ٢٦٣).

الفشل والتنازع، تمنَّن عليهم بصرف العصيان وصرف أسبابه ليشكروه على ذلك.

فصل في التمنُّن بحسن الخِلقة

وهو أنواع:

منها قوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[1] [غافر: ٦٤] وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

فصل في التمنُّن بالمنافع والأرزاق

وهو أنواع:

منها قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤٠] ومنها قوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦] ومنها قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [النحل: ١٢] ومنها قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] ومنها قوله: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

تمنَّن عليهم بأنواع الأرزاق وبحسن الصور وبحسن التقويم، تعريفاً لأنواع نعمه ليشكروها من جهة الإجمال، فإنَّهم لو عدوها لم يحصوها[2]، فكيف يشكرون ما لا يعرفون وما لا يحصون؟!

---

(١) أي خَلَقكُم فأحسن خلقكم. (جامع البيان ٢٤/ ٨٠).

(٢) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وعلى الجملة فقد تمنَّنَ الرَّبُّ سبحانه وتعالى على عباده بإرسال رسله وإنزال كتبه لما في ذلك من جلب مصالح الدنيا والآخرة[1] ودرء مفاسدها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[2] [النساء: ١٧٤] وقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[3] [الأنبياء: ١٠] وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، أي إلى عبادة الله، وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[4] [آل عمران: ١٦٤]، ذكر ذلك كلّه لنشكره على إنعامه

---

(١) حيث إن الأحكام الشرعية مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، وهذه نظرة كليّة من المصنف ـ رحمه الله ـ إلى مقاصد الشريعة السمحاء التي جاءت لتحكم الناس بسلطان الدين، تحقيقاً لمصالح العباد في الدين والدنيا، فراعت بذلك ما يحافظ على هذه المقاصد من الضرورات الخمس (الدين، النفس، العقل، النَّسْل، المال)، والتي هي أساس العمران والاستقرار في كل أمة، قال في قواعد الأحكام: التكاليف كلّها راجعة إلى مصالح العباد في دنياهم وأخراهم، والله غني عن عبادة الكُلِّ، ولا تنفعه طاعةُ الطائعين، ولا تضره معصية العاصين. وجاء في مسلم الثبوت: «إن الأحكام معلَّلة بمصالح العباد تفضلاً منه تعالى على عباده». (انظر مقدمة شارح الموافقات ١/٣، وقواعد الأحكام ١/٧، ٢١-٢٢، مجلة نهج الإسلام: المصلحة عماد التشريع د: وهبة الزحيلي ص ٢١، عدد ٥٢).

(٢) والبرهان هو محمد ﷺ الذي جعله الله عليكم حجة قطع بها عذركم وأبلغ إليكم في المعذرة بإرساله إليكم، مع تعريفه إياكم صحة نبوته وتحقيق رسالته، وذلك النور المبين هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ. (جامع البيان ٦/٣٩).

(٣) قال القرطبي في تفسير قوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] يعني القرآن، ﴿فيه ذكركم﴾ المراد بالذكر هنا الشرف، أي فيه شرفكم، مثل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] قال مجاهد: فيه ذكركم أي حديثكم، وقيل: مكارمُ أخلاقكم ومحاسن أعمالكم، وقيل: فيه ذكركم أي ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم وما تصيرون إليه من ثواب وعقاب. (الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٧٣).

(٤) قال العز في كتابه الإمام في بيان أدلة الأحكام: الفائدة السابعة:

علينا وإحسانه إلينا، وكذلك مَنَّ علينا بما فضَّلَنا به لنشكره عليه بقوله: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] ومَنَّ علينا بحسن الصور والتقويم بقوله: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٤] وبقوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤] وبقوله: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[1] [الانفطار: ٧ـ٨].

وكذلك تمَنَّنَ علينا بما سَخَّرَهُ على العموم بقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[2] [الجاثية: ١٣]، وكذلك تمَنَّنَ علينا بإنزال الأمطار وإنبات الزرع والثمار[3] لأن ذلك كله سبب لأرزاقنا التي هي أسباب لبقاء حياتنا التي هي سبب للقيام بطاعته واجتناب معصيته الموجبين لرحمته والخلاص من نقمته، وكذلك تمَنَّنَ علينا بالمآكل والمشارب والملابس والمناكح والمساكن والمراكب، وبالظلال والخيام

= تمنن الرب تعالى بنعمه إن كانت تلك النعم من أفعاله التي لا اكتساب لنا فيها، كان التمنن بها ترغيباً لنا في شكرها بعرف الاستعمال، وإن كانت بما خلق في الأعيان من المنافع كان ذلك إذناً في الانتفاع وترغيباً في الشكر ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وقال: ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾ [الطلاق: ١٠ـ١١]. (الإمام ١٧٢ـ١٧٣).

(١) وللآية قراءتان توضحان ما قصده الإمام العز:
﴿فَعَدَلَكَ﴾ قرأه الكوفيون بالتخفيف، على معنى عدل بعضك ببعض فصرت معتدل الخلق متناسبه فلا تفاوت في خلقك، وقرأ الباقون بالتشديد على معنى سوى خلقك في أحسن صورة وأكمل تقويم.. والتشديد مروي عن النّبي ﷺ. (الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٣٣٧، الكشف لمكي ٢/ ٣٦٤، زاد المسير ٩/ ٤٨).

(٢) ويستأنس بقراءة: جميعاً مِنَّةً، قرأها ابن عباس وعبيد بن عمير (البديع ١٣٨).

(٣) كقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ [الحجر: ٢٢].

والماء الزلال، وكذلك تمنّن علينا بما أنعم به علينا مما ندفع به الضرورات والحاجات، وكذلك بما أنعم به من التَّتِمَّات والتكملات مما ندفع به الضرورات والحاجات، فكالإدام والفواكه والثمرات وما تحصل به التَّتِمَّات والتكملات، فكالطيِّب الأفضل من الأقوات[1] وما تمسُّ إليه الحاجات، وكذلك الأفضل الآكَد مما ندفع به الحاجات، وكذلك ما يحصل به التزيُّن والتجمُّل والتحلِّي، وكذلك سُكنى الدُّور الواسعات والغرف العاليات المزخرفات، وكذلك الأحسن الأهنأ من المراكب كالمهارى[2] والنجائي[3] والخيل الصافنات[4] وكذلك ما زاد في النكاح والسراري على الواحدة واختيار الحور الحسان الخضرات.

فأمّا المآكل فقوله: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧٢] وأمّا المشاربُ فكقوله: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾[5] [المرسلات: ٢٧] وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨] وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٦٩] وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ

---

(١) كقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧].

(٢) المُهْر: ولد الفرس، والجمع أمهار ومِهار ومهارة، والأنثى مُهرة والجمع مُهر ومُهرات ومَهارى.

(٣) النجائي: النوق السريعة تنجو بمن ركبها.

(٤) في معنى الصافنات وجهان: أحدهما أن صفونها قيامها، والصافن في كلام العرب الواقف من الخيل أو غيرها، ومنه ما روي عن النّبي ﷺ أنه قال: «من سرَّه أن يقوم له الرجال صفوناً فليتبوأ مقعده من النار» أي يديمون له القيام، وقال النابغة:

لنا قُبَّة مضروبة بفنائها ... عتاقُ المهارى والجيادُ الصوافن

والثاني أن صفونها رفع إحدى اليدين على طرف الحافر حتى يقوم على ثلاث، كما قال الشاعر:

أَلِفَ الصُّفُونَ فمايزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيرا

(الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٩٣).

(٥) الفُرات: أشدُّ الماء عذوبةً (لسان العرب: فَرُت).

﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨] أما الملابس فكقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦] وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وأما المناكح فكقوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: ٧٢] وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] وقوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾[1] [المؤمنون: ٦].

وأما المساكن فكقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل: ٨٠] وأما المراكب فكقوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨] وأما الظلال فكقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ [النحل: ٨١] وأما الخيام فكقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٨٠] وكذلك تمنّن علينا بما نستدفىء به ونستكن به في قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾[2] [النحل: ٥] وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾[3] [النحل: ٨١] وكذلك تمنّن علينا بالعسل واللبن الخالص السائغ، وباستخراج الحلية واللؤلؤ والمرجان، وبالاهتداء بالنجوم في ظلمات البر والبحر في قوله: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] وفي قوله:

---

(١) في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ١ـ٥] قال الإمام العز: إنَّ الله جل جلاله افتتحها بالمدح بالفلاح، وختمها بالوعد بالفردوس ثم استثنى الزوجات والمملوكات من المدح بحفظ الفروج عنهن فخرجن من المدح بالتحفظ عن وطئهن، فلما خرج من حيِّز المدح جاز أن يكون وطؤهن مباحاً، وألاّ يكون فأخرجه من حيِّز النهي إلى حيِّز الإباحة بقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ ثم بيَّن أنَّ ما عداهُنَّ محرم بقوله: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧]. (الإمام ص ٢٨٠، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١٢/١٠٦).

(٢) ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥].

(٣) والأكنان ما يكنكم من الحر والبرد، وواحد الأكنان كِنّ، وكل شيء وقى شيئاً وستره فهو كن.

﴿ لَبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦] وقوله: ﴿ وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾[1] [النحل: ١٤] وقوله: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢] وقوله: ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦] وكذلك تسخير الليل والنهار والشمس والقمر دائبين[2].

(اعلم) أن التمنُّنَ مقتضٍ للإذن والإباحة والشكر[3]؛ إذ لا يصحُّ التمنُّن إلاَّ بإنعامٍ وإحسان غير ممنوع.

وكذلك تمنَّن علينا سبحانه وتعالى بالعلوم في تعلُّم الخط في قوله: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥] وقوله: ﴿ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٩] ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ١٢٩] وتمنَّن علينا بما أحلَّه من التصرفات في قوله: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وقوله: ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ﴾ [المائدة: ٤] وقوله: ﴿ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾[4] [الأحزاب: ٥٠] وتمنَّن علينا بالرياسات في قوله: ﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾[5] [المائدة: ٢٠] وقوله:

---

(١) ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [النحل: ١٤].

(٢) عقد الإمام العز في كتابه الإمام في بيان أدلة الأحكام، الفائدة السابعة: تمنُّن الربّ تعالى بنعمه ص ١٧٢ـ١٧٤.

(٣) تمنُّنُ الربِّ بما خلقَ في الأعيان من المنافع يدل على الإباحة دلالةً عرفية؛ إذ لا يصحُّ التمنن بممنوع مثالُه كقوله تعالى: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾ [النحل: ٧] ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [النحل: ٨٠] ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٩] ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]. (الإمام في أدلة الأحكام ص ٨٦، ١٧٢ـ١٧٣).

(٤) الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] قال الطبري: كان كلُّ امرأة آتاها مهراً فقد أحلَّها الله له. (جامع البيان ٢٢/ ٢٠).

(٥) الآية: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠].

﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾[(1)] [النمل: ٦٢] وقوله: «ألم أزوِّجك فلانة وأسخِّرْ لك الخيل والإبل وأذرك ترأسُ وتَرْبَع»[(2)] وقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[(3)] [آل عمران: ١١٠] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[(4)] [البقرة: ١٤٣] وكذلك تمنَّن علينا بما وضعه في الأرض من السبل التي يُهتَدى بها من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن قطر إلى قطر في قوله: ﴿ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾[(5)] [نوح: ٢٠]

---

(١) الآية: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢] ومعنى خلفاء الأرض أي أمةً بعد أمة، وجيلاً بعد جيل، وقوماً بعد قوم، ولو شاء لأوجدهم كلَّهم في وقتٍ واحد، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض. ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفسٍ واحدةٍ ثم يكثرهم غايةَ الكثْرَة ويذرأهم في الأرض ويجعلهم قروناً بعد قرون وأُمماً بعد أمم حتى ينقضي الأجل، وتفرغ البرية، كما قدر ذلك تبارك وتعالى، وكما أحصاهم وعَدَّهم عداً، ثم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله. (تفسير ابن كثير ٢/ ٦٧٥، البحر المحيط ٧/ ٩١).

(٢) هذا حديث رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق بلفظ:
«ألم أُكرمْكَ وأسوِّدْكَ وأزوِّجْكَ وأُسخِّرْ لكَ الخيل والإبل وأذَرْكَ ترأسُ وتربعُ...» ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب ٦ وقال: حديث صحيح غريب، وهو في مسند أحمد ٢/ ٤٩٢، ٤/ ٣٧٨ بلفظ: وزوجتك.
ومعنى أُسَوِّدْكَ أي أجعلك سيداً على غيرك، وأذرك ترأس: أي ألم أتركك تكون رئيسَ القوم وكبيرهم، وتركتك مستريحاً لا تحتاج إلى كلفة وطلب من قولهم: أربعْ على نفسك، أي ارفق بها، ويحتمل أن يكون من قولهم: ربَع الرجل إذا أخصب من الربيع. قال ابن منظور: معناه: ألم أجعلك رئيساً مطاعاً؟

(٣) ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(٤) ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] عدة أقوال منها: جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم، والوَسَط العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسَطُها، وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النّبي ﷺ في قوله ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ قال: «عدلاً». (الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٥٣ـ١٥٤).

(٥) الآية: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ [نوح: ١٩ـ٢٠].

وكل شيء ذُكِرَ فهو إمّا جالبٌ لمصلحةٍ أو لسبب مصلحةٍ أو دارىءٌ لمفسدةٍ أو لسبب مفسدةٍ[1] واللهُ أعلم.

فصل في الوعظ والتذكير بالموت ليستعد العباد للميعاد

وهو أنواع:

منها قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥] ومنها قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ومنها قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2] [الأنعام: ٦١] ومنها قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾[3] [الواقعة: ٨٣] ومنها قوله: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[4] [القيامة: ٢٦ـ٣٠]

---

(١) جَلْبُ مصالح الدنيا والآخرة ودرء مفاسدها، هذا الأمر كان مدارَ كتاب المؤلف «قواعد الأحكام» وفيه يقول: «أَمَرَهُم بتحصيل مصالح إجابته وطاعته ودرء مفاسد معصيته ومخالفته إحساناً إليهم وإنعاماً عليهم؛ لأنه غني عن طاعتهم وعبادتهم فعرفهم ما فيه رشدهم ومصالحهم ليفعلوه، وما فيه غيّهم ومفاسدهم ليجتنبوه... فرتب مصالح الدارين على طاعته واجتناب معصيته». (قواعد الأحكام ص ٢١ـ٢٢).

(٢) قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] أي لا يضيعون ولا يقصرون، أي يطيعون الله، قال أبو عبيدة: لا يتوانون وقرأ عبيد بن عمر (لا يفرطون) بالتخفيف أي لا يجاوزون الحدَّ فيما أُمِروا به من الإكرام والإهانة. (الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٧).

(٣) وفاعل بلغت الروحُ، تُرِكَ ذكرها لدلالة الكلام، وأنشدوا من ذلك:

أماويَّ ما يغني الثراءُ عن الفتى إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ

والحشرجة: الغرغرة عند الموت وتردد النفس. (زاد المسير ٨/ ١٥٥).

(٤) قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦] يعني النفس، أي صارت النفس بين تراقيه ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧] أي هل أحد يرقي ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩] أتاه أول شدة أمر الآخرة، وأشد آخر أمر الدنيا. (غريب القرآن ٥٠١).

ذكَّر عبادَه بالموت ووعظَهم به ليستعدوا له بالإيمان وصالح الأعمال[1].

فصل في التذكير والوعظ بالقَصص

وهو أنواع:

منها قوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ﴾[2] [العنكبوت: ٤٠] ومنها قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[3] [الأنعام: ٤٤] ومنها قوله: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[4] [الزمر: ٢٦] ومنها قوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[5] [الأنبياء: ٩]

---

(١) وهذا لا يناقض قوله ﷺ: «لا يتمنين أحدُكم الموتَ لضُرٍّ نزل به...»؛ فإن طول العمر خير للمؤمن من قصره، ليستعتب من إساءاته ويستكثر من طاعاته، فإذا تمنى الموت كان تمنياً لفوات الطاعات». (شجرة المعارف ص ١١٨ـ١١٩).

(٢) تمام الآية: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٣٩ـ٤٠] قال العز: نصب الفعل سبباً لعذاب عاجل. (الإمام ص ١١١).

(٣) الحديث عن الأمم السابقة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٢ـ٤٤] ومعنى (مبلسون) يائسون من النجاة، آيسون من الرحمة، قال الطبري: وأصل الإبلاس في كلام العرب عند بعضهم الحزن على الشيء والندم عليه، وعند بعضهم انقطاع الحجة والسكوت عند انقطاع الحجة، وعند بعضهم الخشوع، وقالوا: هو المخذول المتروك. (جامع البيان ٧/ ١٢٤، غريب القرآن ١٥٣).

(٤) قال الطبري ما نصُّه: عَجَّل الله لهؤلاء الأمم الذين كذَّبوا رسلهم الهوان في الدنيا والعذاب قبل الآخرة، ولم ينظرهم إذ عتوا عن أمر ربهم، ولعذاب الله إياهم في الآخرة إذا أدخلهم النار فعذبهم بها أكبر من العذاب الذي عذبهم به في الدنيا. (جامع البيان ٢٣/ ٢١٢).

(٥) تمام الآية: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٩]=

ومنها قوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾[1] [الشعراء: ١١٩] ومنها قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2] الزخرف: ٥٥] حذَّر الآخرين بما فعل بالأولين تحذيراً من سلوك سبيل المجرمين وطريق المكذبين.

وليست قصصهم بأسمارِ سامَرَهُم بها، وإنما قَصَّها عليهم للوعظ والإنذار ولذلك قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ[3] لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4] [يوسف: ١١١].

= يقول الله تعالى: ﴿ثم صدَّقنا رسلنا الذين كذبتهم أممهم وسألتهم﴾ الآيات... فأنجينا الرسل عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم.

(١) الحديث عن سيدنا نوح عليه السلام حين كذبه قومه فدعا ربه بقوله: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٨-١١٩].

(٢) الحديث عن فرعون وقومه وتكذيبه موسى عليه السلام، وقوله تعالى: آسفونا: أغضبونا وأسخطونا، وقوله: انتقمنا منهم أي انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجلناه لهم، فأغرقناهم جميعاً في البحر. (الجامع لأحكام القرآن ٢٥/ ٨٤).

(٣) أي عبور من حيِّز الجهل إلى حيِّز العلم، لأن العبرة فَعْلة من العبور، فجاز أن تستعمل في العبور من حيز الجهل إلى حيز العلم، كما استعملت في العبور من الاغترار إلى حيز الاتعاظ. (الإمام ١٦٤).

(٤) امتازت قصص القرآن بسمو غاياتها وشريف مقاصدها وعلوِّ مراميها؛ ففيها الأخلاق وما يهذب النفوس ويجمِّل الطباع وينشر الحكمة والآداب، وفيها التربية والتذكير والوعظ، تُساق مساق التخويف والإنذار مثلاً، أو مساق الحكمة والاعتبار، وكلٌّ ذلك قصَّه الله تعالى في قول بيِّن وأسلوب حكيم؛ ليدل الناس على الخلق الكريم ويدعوهم إلى الإيمان الصحيح، ويرشدهم إلى العلم النافع بأحسن بيان وأقوم سبيل، وليكون مثلهم الأعلى فيما يسلكون من طرق التعليم، ونبراسهم فيما يصطنعون من وسائل الإرشاد والعبر والبيان.

فصل في ضرب الأمثال في القرآن(١) حثاً على الطاعات وزجراً عن المخالفات

ولا تنفك الأمثال من وعدٍ أو وعيدٍ أو مدح أو ذم أو لوم أو توبيخ.

مثال الوعد بمضاعفة أجر الحسنات قوله سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٦١] وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٦٥] مثل مضاعفة أجر النفقات بهذين المثلين ترغيباً في النفقات.

ومَثَّل إحباط الكفر لأعمال البر بالريح تنفيراً من الكفر وتهديداً بأنه يُسقط ثواب البر الذي فعلوه فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] وقال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧] وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وأخرج البيهقي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن نزل على خمسة أوجه؛ حلالٍ وحرامٍ، ومُحْكَمٍ ومُتَشابهٍ، وأمثالٍ، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال». وقال الشيخ عز الدين: إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً، فما اشتمل على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم فإنه يدل على الأحكام، ثمَّ بيَّن الغرض من الأمثال في كلام العرب، فذكر أنهم لم يضربوا مثلاً إلاَّ وفيه ضرب من الغرابة، والغرض بضرب الأمثال المبالغة في الإيضاح والبيان حتى يصير الغائب كالحاضر والمتخيل كالمتحقق والمتوهم كالمتيقن ولذلك كثرت الأمثال في كتاب الله. (ينظر قواعد الأحكام ٢٣٤ـ٢٣٥).

هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران: ١١٧] وكذلك مثل حسبان الكفار أن أعمالهم تنفعهم يوم القيامة بحسبان ظمآنَ رأى سراباً فظنه ماءً فجاءه فلم يجده شيئاً، فأخذه الله هنالك[(١)]، فكذلك يؤخذ الكفارُ يومَ القيامة الذين حسبوا أن أعمالهم تنجيهم فيها من الهلاك، وشبه كلمة الكفر بالشجرة الخبيثة تنفيراً منها وذماً لها، وشبه كلمة الإيمان بالشجرة الطيبة حثاً عليها[(٢)] ومدحاً لها وكذلك شبه الإيمان بالأنوار والحياة ترغيباً فيه، وشبه الكفر بالظلمات والموت زجراً عنه[(٢)].

وأما التوبيخ: ففي مثل قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[(٣)] [الروم: ٢٨] الآية، يقول سبحانه كيف تأنفون لأنفسكم أن تشاركوا أرِقَّاكُم في أرزاقكم ولا تأنفون لربكم أن يشارك الأصنام في صفة الإلهية؛ بل ترضون لربكم من مشاركة عباده في إلهيته ما تكرهون مثله لأنفسكم من مشاركة عبيدكم في أرزاقكم؟.

وكذلك شبه شرف الحق ودوامه بالمطر وبجواهر الذهب والفضة وسائر الأمتعة، ترغيباً فيه،وشبه خِسَّة الباطل وسرعة زواله بزبد الحلية

---

(١) إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

(٣) ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨].

والأمتعة، وسرعة زوالهما عن المسيل(١) والجواهر تنفيراً منه، وكذلك شبه سرعة مصير المنافقين إلى ظلمات الآخرة بسرعة انطفاء نار المستوقد لما أنارت ما حوله تنفيراً من النفاق وتهديداً عليه(٢).

فصل في بيان اللغات التي نزل بها القرآن وفي معنى الحروف السبعة(٣)

للأحرف السبعة معنيان كلاهما موجود في القرآن

أحدهما:

ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أُنزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف»(٤): أمر ونهي وترغيب وترهيب وقَصَص وجَدَل ومَثَل، وهذه معانٍ يشتمل عليها القرآن(٥)، ولم تختلف قراءة عمر وهشام بن

---

(١) إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ [الرعد: ١٧] وقوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٧].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٦_١٧].

(٣) للتوسع في معرفة الحروف السبعة ينظر: في رحاب القرآن الكريم د. محمد سالم محيسن ٢٣٥_٢٥٥.

(٤) الحديث في صحيح البخاري، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف رقم: ٢٤١٩، وكذلك في صحيح مسلم رقم:٨١٨، وسنن أبي داود ١/١٠٢، والترمذي ١١/٦١ ولهذا الحديث روايات عديدة، انظر كتاب المرشد الوجيز لأبي شامة ص ٧٧_٩٥، فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلّام ص ٤٤، فتح الباري لابن حجر ٩/٢٦، البرهان للزركشي ١/٤٥٤، وكتب علوم القرآن.

(٥) لقد اهتم العلماء قديماً وحديثاً ببيان المراد من الأحرف السبعة، وبلغت الأقوال =

حكيم[1] في مثل ذلك.

الثاني:

أن الأحرف السبعة لغاتٌ مختلفات كتحقيق الهمز وتخفيفه[2]، والمد

= التي ذكرها السيوطي في كتابه الإتقان نحو أربعين قولاً.. وأبدىٰ الإمام ابن الجزري رأياً يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله، قال: تتبَّعتُ القراءاتِ صحيحَها وشاذَّها وضعيفَها ومنكَرَها، فإذا هو يرجِعُ اختلافُها إلى سبعة أوجهٍ من الاختلاف لا يَخرُجُ عنها:

الأول: أن يكون الاختلاف في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو: ﴿يحسَب﴾ بفتح السين وكسرها.

الثاني: أن يكون بتغير المعنى فقط دون تغير في الصورة نحو: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

الثالث: أن يكون في الحروف مع التغير في المعنى لا الصورة نحو: ﴿تبلو - تتلو﴾ [يونس: ٣٠].

الرابع: أن يكون في الحروف مع التغير في الصورة لا المعنى نحو: ﴿الصراط﴾، ﴿السراط﴾ [الفاتحة: ٦].

الخامس: أن يكون في الحروف والصورة نحو: ﴿يأتل﴾ - ﴿ويتأل﴾ [النور: ٢٢].

السادس: أن يكون في التقديم والتأخير نحو: ﴿وقاتلوا - وقتلوا﴾ [آل عمران: ١٩٥].

السابع: أن يكون في الزيادة والنقصان نحو: ﴿وأوصى - ووصى﴾ [البقرة: ١٣٢].

فهذه الأوجه السبعة لا يخرج الخلاف عنها، ومما لا شك فيه أن قول ابن الجزري يجمع أقوال بعض العلماء كأبي العباس بن واصل وأبي الفضل الرازي وأبي الحسن السخاوي. (انظر النشر لابن الجزري ١/٢٦-٢٧، في رحاب القرآن د. محمد سالم محيسن ص ٢٣٥-٢٥٥).

(١) هشام بن حكيم بن حِزَام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، أحد فضلاء الصحابة وخيارهم، ثبت ذكره في الصحيح من رواية الزهري واختلافه مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في اختلاف القراءة... ترجمته في الإصابة رقم: ٨٩٦٤، (وانظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ١٠).

(٢) التحقيق: هو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ وتحقيق الهمز وإتمام الحركات.

والقصر[1]، والفتح والإمالة[2] وما بينهما، والإظهار[3] والإدغام[4]، وكذلك ضم الهاء وكسرها من (عليهم) و (إليهم)[5]، وكذلك إلحاق

= واعتماد الإظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ. (لسان العرب: حقق، الكشاف: ٢/ ١١٧، الإتقان ١/ ١٠١).

(١) المدُّ عبارة عن زيادة مطٍّ في حرف المدِّ على المدِّ الطبيعي، وهو الذي لا تقوم ذاتُ حروف المدِّ دونه، والقصر ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله، وحروف المدِّ: الألف مطلقاً، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦] قال ابن خالويه: يقرأ بالمد والقصر، فالحجة لمن مدَّ أنه جعله من الإعطاء، والحجة لمن قصر أنه جعله من المجيء، والوجه ههنا أن يكون من الإعطاء؛ لأنه لو أراد المجيء لأتى معه بالباء، كما قال تعالى: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣]. (الحجة في القراءات السبع ٣٣٤، الإتقان: ١/ ٩٨).

(٢) الإمالة في القراءة أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيراً، وهو المحض، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، أما الفتح فلغة أهل الحجاز. (الإتقان ١/ ٩٣).

(٣) الإظهار لغةً: البيان، واصطلاحاً إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر.

(٤) الإدغام: لغةً إدخال الشيء في الشيء. يقال: أدغمت اللجام في فم الدابة أي أدخلته فيه. واصطلاحاً: النطق بالحرفين حرفاً واحداً كالثاني مشدداً. كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. (مرشد المريد إلى علم التجويد د. محيسن ص ٤ـ٦، في رحاب القرآن ١/ ١١٠، شرح المقدمة الجزرية للشيخ زكريا ص ١٠٢ـ١٠٤).

(٥) ذكر القرطبي في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] أن في ﴿عليهم﴾ عشر لغات؛ قرىء بعامتها: عليهُمْ (بضم الهاء وإسكان الميم) وعليهِمْ (بكسر الهاء وإسكان الميم) وعليهيمي (بكسر الهاء وإلحاق الياء بعد الكسرة) وعليهِمُو (بكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة) وعليهُمُو (بضم الهاء والميم كلتيهما، وإدخال واو بعد الميم) وعليهُمُ (بضم الهاء والميم من غير زيادة واو) وهذه الأوجه الستة مأثورة عن الأئمة من القراء، وأوجه أربعة منقولة =

الواو في عليهمو وإليهمو، وكذلك إلحاق الواو في منهو وعنهو، والياء في إليهي وعليهي وفيهي[1]، فأنزل الله [القرآن] بهذه اللغات رفقاً بقبائل العرب؛ لأنه لو كلَّفهم أن يقرؤوه بلغةٍ واحدة لشق على سائر القبائل الخروجُ عما ألفوه من لغاتهم، فكان من اللطف بهم أن يقرأه أهل لغة الإمالة بالإمالة، وأهل الفتح بالفتح، وأهل التسهيل[2] بالتسهيل، وأهل التحقيق بالتحقيق، وأهل القصر بالقصر، وأهل المد بالمد، وكذلك من يلحق بالضمائر ومن لا يلحقها، ففرق الله هذه اللغات في القرآن ونزل فيه

= عن العرب غير محكية عن القرَّاء:
عليهُمِي بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء بعد الميم، حكاها الحسن البصري عن العرب، وعليهُمِ بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء، وعليهِمُ بكسر الهاء وضم الميم من غير إلحاق واو، وعليهِمِ بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم، وكلها صواب، قاله ابن الأنباري. (الحجة في علل القراءات السبع ١/ ٤٢ـ٦١، الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٤٨ـ١٤٩).

(١) توسَّع الفارسي في بيان أصول هذه القراءات في كتابه (الحجة) ج١/ ٤٢ـ٦٢، ٧٠ـ٧٩ وانظر التطور النحوي لبرجستر ص ٦٢، السبعة لابن مجاهد ٩ـ١٠.

(٢) التسهيل تخفيف الهمز. قال السيوطي: اعلم لما كان الهمز أثقل الحروف نطقاً وأبعدها مخرجاً تنوع العرب في تحقيقه بأنواع التخفيف، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفاً.
وتحقيق الهمز أربعة أنواع:
أحدها: النقل لحركته إلى الساكن قبله فيسقط، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: ١] (بفتح الدال).
ثانيها: الإبدال أن تبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها؛ فتبدل ألفاً بعد الفتح نحو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ [طه: ١٣٢] وواو بعد الضم نحو: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٣] وياء بعد الكسر نحو: ﴿جيت﴾ [البقرة: ٧٢] وبه يقرأ أبو عمرو.
ثالثها: التسهيل بينها وبين حركتها، نحو: ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾ [آل عمران: ١٥] ﴿أو نُزِلَ عليه الذكر﴾ [صٓ: ٨] قال الداني: وقد أشار الصحابة إلى التسهيل بكتابة الثانية واواً.
رابعها: الإسقاط بلا نقل، وبه قرأ أبو عمرو، نحو: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ﴾ [البقرة: ٣١]. (الإتقان ١/ ١٠٠).

كلمات أُخر، كل كلمة من فصيح اللغات ولذلك التمس رسول الله ﷺ من جبريل عليه السلام لما أمره أن تقرأ أمته القرآن على حرف أن يزيدَه فمازال يزيده حتى بلغ سبعة أحرف[1]، قال أبو عبيد[2] وغيره من العلماء: أُنزل القرآن بلغة سبع قبائل فيه من كل لغة منها شيء.

وفي إنزال القرآن بهذه اللغات تشريف لمن أنزل الله كتابه بلغته، ورفق وتيسير، وهذا من أبلغ ما في القرآن من التيسير؛ لأن من ألف لغةً عسر عليه الخروج منها غاية العسر، وفي مثل هذا اختلفت قراءة عمر وهشام بن حكيم بن حِزَام فاختصما إلى رسول الله ﷺ وقرأا عليه ما اختلفا فيه، فقال لكل واحدٍ منهما: هكذا أُنزِلَ[3]، ولعله أراد أن جبريل عليه السلام

---

(١) في الصحيحين عن ابن شهاب، قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل عليه السلام على حرف واحد فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة حروف» (صحيح البخاري ٦/ ١٠٠، صحيح مسلم ٢/ ٢٠٢ وانظر كتاب في رحاب القرآن الكريم، الفصل الأول من الباب الأول: تنزلات القرآن الكريم).

(٢) هو القاسم بن سَلاَّم أبو عبيد الهروي البغدادي، من كبار العلماء بالقراءات والحديث والفقه والعربية والأخبار، له تصانيف في كل فن منها، توفي سنة ٢٢٤ هـ (ترجمته في غاية النهاية ٢/ ١٧، تهذيب التهذيب ٨/ ٣١٥، شذرات الذهب ٢/ ٥٤، في رحاب القرآن الكريم ص ٨٩).

(٣) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلَّم، فلببته بردائه (جررته) فقلت: مَنْ أقرأكَ هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت! فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ لهشام: «اقرأ يا هشام»، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أُنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر»، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أُنزلت، إنَّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه». (صحيح البخاري ٦/ ١٠٠، جامع البيان ١/ ١١ـ٢٠).

عارضه في كل مرةٍ بحرف من هذه الأحرف،أو عنى بذلك الإذن في قراءته بالأحرف.

لغات القرآن

وأمّا لغات القرآن[١] فهي: أفصح لغات العرب الذين كانوا وسط جزيرة العرب دون الذين كانوا بأطرافها،فإن العجم[٢] أفسدوا لغاتهم بمخالطتهم ومجاورتهم، ولذلك لم تؤخذ اللغة إلاَّ عن الذين نزل القرآن بلغتهم[٣] ولم تؤخذ عن أهل المدينة ومكة لفساد لغتهم بعدَ رسول الله ﷺ بكثرة من خالطهم من رقيق العجم وبمن تردد إليهم من تجارهم، وكانت لغتهم سليمةً من ذلك قبل موت رسول الله ﷺ لعدم مخالطة أولئك.

---

(١) لغات القرآن موضوع جليل ذو شأن عني به العلماء وأهل النظر في اللغة منذ القرن الأول للهجرة، وألَّفوا فيه في القرن الثاني، فكان ممن ألف منهم الفرَّاء وأبو زيد والأصمعيّ، وبعدهم ذكر هذا الموضوع من ألَّف في علوم القرآن ومن تصدَّى للتفسير كذلك أمثال: الزركشي والفيروزآبادي وابن كثير والبيضاوي وابن الجزري والسيوطي، ومن الكتب التي ألفت في هذا الموضوع كتاب: اللغات في القرآن برواية ابن حسنون المقرىء بإسناده إلى ابن عباس، ورسالة لأبي عبيد القاسم بن سلاّم بدار الكتب المصرية رقم (ب ٣٥٣١٢). (جامع البيان للطبري ١/٨ـ١١).

(٢) العَجَم ضد العرب، الواحد عَجَمي، والعُجْمُ (بالضمِّ) ضد العرب، وكل من لا يقدر على الكلام أصلاً فهو أعجم، والأعجم الذي في لسانه عجمة وإن أفصح بالعجمية (القاموس: عجم).

(٣) ضم القرآن الكريم ألفاظاً من معظم القبائل، وهذا الأمر يومىء إلى غاية رائعة وهي: توحيد العرب وجعل القرآن كتاباً تجد فيه كل قبيلة من القبائل ألفاظها الخاصة بها، ثم إيجاد لغة واحدة تكون اللغة الرسمية للعرب جميعاً، هي تلك اللغة الكاملة الصافية التي نجدها في القرآن. (ينظر كتاب اللغات في القرآن ص ٨).

والأصل فيمن نزل القرآن بلغتهم قريش[1]؛ لأنَّ رسول الله ﷺ قُرَشيّ ثم بنو سعد بن بكر لأنه استُرضِعَ فيهم[2] وأقام عندهم حتى ترعرع، ثم ثقيف[3] وخُزَاعة[4] وهُذَيْل[5] وكِنَانَة[6] وأَسَد[7] وضَبَّة[8] لقربهم من مكة وكثرة تَردادهم إليها، ومن بعدهم قَيْس[9] وألفافها الذين وسْطَ الجزيرة

---

(١) أخذ القرآن من ألفاظ قريش بأوفر نصيب، وهذا أمر طبيعي؛ فقد كانت لغة قريش قد سادت بلادَ العَرَب قبيل الإسلام، ثم زادت هذه السيادة بعده؛ ذلك لأنها أعظمُ القبائل سلطاناً وسياسةً وتجارةً وأفصحها لغةً، وقد كان سلطانها وتجارتها يساعدان على نشر لغتها بين القبائل العربية التي كانت متعددة اللهجات متباينة اللغات. (في رحاب القرآن الكريم ١/ ١٥٤، اللغات في القرآن ص ٦).

(٢) وفي ذلك يروى: «أنا أفصحُ العَرَب بيدَ أني من قريش، ونشأتُ في بني سعد بن بكر»، وهو قول أرسله في العرب جميعاً، والفصاحة أكبرُ أمرهم والكلامُ سيِّدُ عملهم. (المقاصد الحسنة ٩٥، الفائق ١/ ١٤١، كشف الخفاء ١/ ٢٣٢، إعجاز القرآن للرافعي ٢٨٥ـ٢٨٦).

(٣) ثَقيف: قبيلة منازلها في جبال الحجاز بين مكة والطائف، وعلى الأصح بينه وبين جبال الحجاز. (معجم قبائل العرب ١٤٧).

(٤) خُزَاعَةُ: قبيلة من الأزد من القحطانية، منازلهم بأنحاء مكة في مر الظهران وما يليه، فيهم بطون كثيرة وكانوا يحيطون بعلم العرب العاربة وأخبار أهل الكتاب. (معجم قبائل العرب ٣٣٩).

(٥) هُذَيل: من قبائل الحجاز المهمة، تنقسم إلى قسمين: شمالي وجنوبي، وتقع ديار هذيل الشمالي في أطراف مكة من جهة الشرق، والجنوب، وبالأخص في أطراف مكة والطائف. (معجم قبائل العرب ١٢١٣).

(٦) كنانة: قبيلة من مضر، وهو كنانة بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس. . وبنو كنانة من تغلب بن وائل وهم بنو عِكَبّ، يقال لهم قريش تغلب. (لسان العرب: كنن).

(٧) أَسَدُ بن خُزيمة قبيلة عظيمة من العدنانية، وهي ذات بطون كثيرة، كانت منازلهم في أرض نجد وفي مجاورة طي. (معجم قبائل العرب ٢١).

(٨) ضبة: حي من العرب من العدنانية، كانت منازلهم في جوار بني تميم بالناحية الشمالية التهامية من نجد. (معجم قبائل العرب ٦٦١).

(٩) قيس: بطن عظيم من العدنانية، وهم بنو قيس بن ثعلبة، بلادهم كلها باليمامة، كانوا من أشعر قبائل العرب، وقد شهد بذلك حسان بن ثابت والأخطل. (معجم =

وفسدت لغة أهل اليمن بمخالطتهم الحبش والهنود، وفسدت لغة من كان شرقي الجزيرة لمخالطتهم الفرس ونصارى الجزيرة، وفسدت لغة من كان شمالي الجزيرة بمخالطتهم الروم وبني إسرائيل، وليس غربي الجزيرة أحد من العجم؛ لأنه جبال غير مسكونة، وقال أبو عبيدة والمبرد(١): نزل في القرآن شيء بلغة أهل اليمن، ولعل ذلك ما اتفقت فيه اللغتان كالعَرِم(٢) والفَتَّاحِ(٣) دون ما انفرد به أهل اليمن.

= قبائل العرب ٩٧١).

(١) محمد بن يزيد أبو العباس المبرد إمام أهل البصرة في العربية وصاحب كتاب «المقتضب في النحو والكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف» مولده سنة ٢١٠ ووفاته سنة ٢٨٥ هـ. (ترجمته في بغية الوعاة ١/٢٦٩، نزهة الألباء ٢١٧، معجم الأدباء ١٩/١١١، طبقات اللغويين للزبيدي ١٠١).

(٢) في الحديث عن سبأ وإعراضها عن تصديق الرسل قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦] ومعنى العرم في التهذيب: قيل العَرِم: السيل الذي لا يُطاق.. وقيل هو اسم وادٍ... وقيل هو المطر الشديد، وذكر الطبري أنها بكلام حِمْيَر المسَنَّاة التي تحبس الماء واحدها عرمة، وهي المسناة بلحن اليمن، وعن مجاهد أنَّ العرم: الشديد. (جامع البيان ٢٢/٧٨ـ٨٠، التهذيب (عرم)، تفسير غريب القرآن ٣٥٥).

(٣) الفتَّاح: الحاكم بلغة اليمن، وفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩] أي احكم بيننا، ويقال للحاكم: الفتَّاح. (انظر جامع البيان ٩/٣، معاني القرآن للفراء ١/٣٨٥، تفسير غريب القرآن ١٧٠، تهذيب اللغة ولسان العرب (فتح).

فَصل: الإعجاز[1]

[الإعجاز] هو الإيجاز والبلاغة ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[2] [البقرة: ١٧٩]، أو البيان والفصاحة ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[3] [الحجر: ٩٤].

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾[4] [يوسف: ٨٠] وهو رصفه الذي

---

(١) الإعجاز لغوياً هو نسبة العَجْز إلى الغير، وإثباته له، يقال: أعجز القرآنُ الناسَ أي أثبت عجزَهم أن يأتوا بمثله في أسلوبه ونظمه، وفي علومه وحكمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة، وفي كل باب من هذه الأبواب للإعجاز فصول وفي كل فصل منها فروع ترجع إلى أصول، وقد ألمح الإمام عز الدين بن عبد السلام هنا إلى بعضها بإشارة وإيجاز، ففي كتب علوم القرآن مادة ضخمة مفيدة في مجال الإعجاز لا تنحصر. (ينظر إعجاز القرآن للباقلاني، ودلائل الإعجاز للجرجاني، وبدائع القرآن لابن أبي الإصبع، والفوائد المشوقة المنسوب لابن القيم، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦٩ـ٧١).

(٢) قال عبد القاهر الجرجاني: لما كان الإنسان إذا علم أنه: إذا قَتَل قُتِل ارتدع بذلك عن القتل فسلِمَ صاحبه، صارت حياة هذا المهموم بقتله في مستأنف الوقت مستفادةً بالقِصاص، وصار كأنه حَيي في باقي عمره، أي بالقصاص. (دلائل الإعجاز ٢٠١، ٢٧٢، قواعد الأحكام ٢٨٨ـ٢٨٩).

(٣) تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] أي فاجهر به وأظهره، يقال: صَدَع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً، وقيل: فاصدع: فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر به من الشرائع. وقد ذكر أبو عبيدة أنه ما في القرآن أغرب من قوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤].

وقال الجرجاني: تأمل ما جمعه العلماء في غريب القرآن فترى الغريب منه إلاَّ في القليل إنما كان غريباً من أجل استعارة هي فيه كمثل: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] و﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] ومثل ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] دون أن تكون اللفظة غريبةً في نفسها. (الكشاف ٢/ ٣٩٩، الإتقان ٢/ ١٦٣، مغني اللبيب ٤١٥، دلائل الإعجاز ٢٧٢).

(٤) الحديث عن إخوة يوسف عليه السلام، ومعنى استيأسوا: يئسوا من يوسف وإجابته لهم إلى مرادهم. خلصوا نجياً: انفردوا عن غيرهم واعتزلوا الناس =

أخرجه عن عادتهم في النظم[١] والنثر والخطب والشعر[٢] والرجز[٣] والسجع[٤] والمزدوِج[٥] مع أن ألفاظه مستعملةٌ في كلامهم، أو هو أنَّ قارئه لا يملُّه، أو ازدياد حلاوته مع كثرة تلاوته بخلاف غيره فإنه يُمَلُّ إذا أكثر منه[٦]، أو هو إخباره بما مضى كقصة أهل

= متناجين متشاورين فيما يقولون لأبيهم عليه الصلاة والسلام. (تفسير روح المعاني للآلوسي ١٣/ ٣٤ـ٣٥).

(١) النظم لغةً التأليف، وضم شيء إلى شيء آخر، وهو مبني على الذوق. . .

(٢) يقال في اللغة شعر بالأمر شعراً وشعوراً إذا علم به، فكل علم يسمى شعراً، ثم غُلِّبَ الشعر على القول المتصف بالوزن والقافية لشرفه.

(٣) الرَّجَزُ: ضرب من الشعر، أقربُ منظوم من المنثور، وهو الدرجة الأولى التي تخطَّاها الكلام العربي إلى القصيد، ووزنه: مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مستفعلن، وهو وزن يسهلُ في السمع ويقع في النفس، كقول الشاعر:

لا خير فيمن كفَّ عنا شرَّه ... إن كان لا يُرجى ليومِ خَيِّرِ

وقول الآخر:

إن تغفر اللهمَّ تغفرْ جمَّا ... وأيُّ عبدٍ لكَ لا ألمَّا

وقد اختلف الناس فيه؛ فزعم قوم أنه ليس بشعر، وهو عند الخليل شعر صحيح. (لسان العرب: رجز).

(٤) السَّجْع: الكلام المقفى، وسمي سَجْعاً لاشتباه أواخره، وتناسب فواصله. (لسان العرب: سجع).

(٥) ازدَوَجَ الكلامُ وتَزَاوَجَ: أشبه بعضُه بعضاً في السجع أو الوزن، واستُخدِمَ في نظم الحكم والأمثال والقصص في مقطوعاتٍ، كل شطرين منها على قافية واحدة، وكلها من بحر الرجز، كقول أبي العتاهية:

حسبُكَ مما تبتغيه القوتُ ... ما أكثر القوتَ لمن يموت

هي المقادير فلُمني أو فذر ... إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَر

إنَّ الشَّبابَ والفراغ والجِدَه ... مفسدة للمرء أيُّ مفسده

(كتاب الشعر: جميل سلطان ١١٤ـ١١٥).

(٦) قال ابن قتيبة: وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلِّفين، وجعله مَتْلُوّاً لا يُمَلُّ على طول التلاوة، ومسموعاً لا تمجُّه الآذان، وغضّاً لا يخلُقُ على كثرة الرد، وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقضي فوائده. (تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣).

الكهف[1] وذي القرنين[2] وموسى والخضر وجميع قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو هو إخباره عما يكون كقوله: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ [البقرة: ٢٤] ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [البقرة: ٩٥] واشتماله على العلوم التي لم تكن فيها آلتها ولا تعرفها العرب ولا يحيط بها أحد من الأمم، أو صرفهم عن القدرة على معارضته أو صرفهم عن معارضته مع قدرتهم عليها وحرصهم على إبطاله[3]، أو إعجازه بجميع ذلك لاشتماله على جميعه[4].

---

(١) قصة أصحاب الكهف، وهم فتية من الروم دخلوا الكهف قبل المسيح عليه السلام فضرب الله على آذانهم فيه، فلما بعث المسيح أخبر بخبرهم ثم بعثهم الله بعد المسيح بفترةٍ بينه وبين النَّبي ﷺ. (المعارف ٢٥).

(٢) قصة ذي القرنين: هو رجل من الإسكندرية اسمه اسكندروس، لم يكن نبياً، ولكن كان عابداً مستجاب الدعوة، وكان تاجراً كثير المال عظيم الصدقة، كان حلم حلماً فرأى أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقُرْنيها في شرقها وغربها، فقص رؤياه على قومه فسمَّوه ذا القرنين وكان في الفترة بعد عيسى عليه السلام. (المعارف لابن قتيبة ٢٥).

(٣) القول بالصرفة فيه نظر؛ فقد وقع الخلاف بين العلماء هل وجه الإعجاز كونه في الرتبة العلية من البلاغة الخارجة عن طوق البشر، أو كان العجز عن المعارضة للصرفة من الله سبحانه لهم عن أن يعارضوه؟ والحق الأول، والكلام في هذا مبسوط في مواطنه (روح المعاني للآلوسي تفسير سورة القصص آية ٤٩، وفكرة إعجاز القرآن للأستاذ نعيم الحمصي).

(٤) لإعجاز القرآن ضروب أخرى أعلاها ما فيه من العلوم العالية؛ إلهيةً واجتماعيةً وشرعيةً،وما له من سلطان الهداية في النفوس من الطريق الفطري، وموافقة أصوله لكل زمان ومكان،وإخباره عن الغيب الماضي والمستقبل... وحكم أخرى الله أعلم بها.

فصل في بيان أنواع الحمد

لا حمد ولا مدح[1] إلا بنفي نقص أو إثبات كمال، أو باجتماع السلب والإثبات[2].

ومَدْحُ الإله ضربان: أحدهما: مدح بالنفي، وهو نوعان:

أحدهما: مدح بنفي العيب والنقص كالمدح بقدس القُدُّوس[3]، وهو الطاهر من كل عيب ونقصان،وكالمدح بسلامة السلام وهو السالم من جميع الحوائج والآفات.

النوع الثاني: مدحه بنفي مثل كماله عمن سواه وهو ضربان:

أحدهما: مدح بنفي بعض صفاته عن غيره كقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[4] [الصافات: ٣٥] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] أثبتَ لنفسه الإلهية والحكم ونفاهما عن سواه.

الثاني: مدحه بنفي مثل جميع صفاته عمن سواه كقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن

---

(١) الفرق بين الحمد والمدح أن الحمد لا يكون إلا على إحسان، والله عز وجل حامد لنفسه على إحسانه إلى خلقه، فالحمد مضمن بالفعل، والمدح يكون بالفعل والصفة.. ويقال: الحمد لله على الإطلاق ولا يجوز أن يطلق إلاّ لله؛ لأن كل إحسان فهو منه في الفعل أو التسبيب. (الفروق في اللغة ص ٤٠-٤٢، الوجوه والنظائر ص ٢٥١-٢٥٢).

(٢) ينظر كتاب الإمام في بيان أدلة الأحكام ص ٢١٦-٢٢٠.

(٣) التقديس في اللغة التطهير، وفي الاصطلاح تنزيه الحق سبحانه عن كل ما لا يليق بجنابه، وعن النقائص الكونية مطلقاً، وعن جميع ما يعد كمالاً بالنسبة إلى غيره من الموجودات مجردةً كانت أو غير مجردة، والقُدُّوس من أسماء الله تعالى أي الطاهر أو المبارك. (القاموس المحيط: قدس، التعريفات ص ٦٥).

(٤) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

﴿لَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الصمد: ٥] معناه لا يساويه أحد في ذاته ولا في صفةٍ من صفاته وكذا قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] معناه ليس مثله شيءٌ في ذاتِهِ ولا في شيءٍ من صفاته.

الضرب الثاني: صفات الإثبات، وهي ضربان[١]:

أحدهما: ذاتي كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

والثاني: فعليّ كالخلق والرزق والضر والنفع والخفض والرفع والإعزاز والإذلال وغير ذلك من أنواع الأفعال، فإذا جُعِلَت الألف في (الحمد) لاستغراق المحامد[٢] دخل في ذلك كل نفي وإثبات عَلِمْنَاهُ أو جهلناه، واختص الرب سبحانه وتعالى بذلك الحمد؛ إذ لا يحصي أحدٌ ثناءً عليه سواه[٣]، وإن جُعلت لتعريف العهد أو لتعريف الجنس دخل في ذلك ما عرفناه من النفي والإثبات دون ما جهلناه.

---

(١) أوضح الإمام الجويني في(الإرشاد)أن جميع أسماء الرب سبحانه تنقسم إلى ما يدل على الذات أو يدل على الصفات القديمة، وإلى ما يدل على الأفعال، أو يدل على النفي فيما يتقدس الباري سبحانه عنه، وقد توسَّع العلماء في تفصيل هذه الأبحاث. (ينظر الإرشاد ص ١٤٤ـ١٤٦، كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ٢٥، التمهيد للباقلاني ٢٦٢، شرح الجوهرة للباجوري ١٢٠).

(٢) الألف في الحمد هي (ال) الجنسية، تفيد استغراق الأفراد، وتخلُفُها (كل) حقيقةً، أي: كل حمدٍ لله قال الشيخ زكريا: وعلى كلّ منها يفيد اختصاص الحمد بالله إما على الاستغراق فظاهر، وإما على الجنس؛ فلأن لام لله للاختصاص، فلا فرد منه لغيره، وإلاَّ لم يكن مختصاً به، وإما على العهد فعلى معنى أن الحمد الذي حمد الله به نفسه وحمده به أنبياؤه وأولياؤه مختص بالله تعالى. (شرح المقدمة الجزرية ص ٢١، مغني اللبيب ٧٣).

(٣) مِصدَاقاً لما ورد في دعائه ﷺ: «لا أُحصي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ». (الحديث في صحيح مسلم كتاب الصلاة ٢٢٢، مسند أحمد ١/ ٩٦).

فائدة: إذا كان الاسم مشتركاً[1] ولم يظهر في أحد مسمياته فمن العلماء من يحمله على جميع مسمياته، فعلى هذا تكون لفظة الرب في قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] جامعة لمعنى الإلهية والملك والسؤدد والإصلاح، ومنهم من يحمله على بعض مُسمَّياته، فإن كان في السياق ما يعيِّنُه ويدل عليه حمل الكلام عليه، وإن لم يكن في السياق ولا في قرائن الأحوال ما يدل عليه فهو مُجْمَل[2]، مراد الله منه أحدُ مسمياته على التعيين عنده فمعنى قوله: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤] إلهُنا ومعبودُنا ملك السموات والأرض، وقوله: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤] مناسب لحمله على المُصْلِح، لأن إنزال المائدة من جملةِ الإصلاح، ومناسبٌ للمالك؛ لأن المالك هو القائم بأرزاق عبيده، وفي ربطه بالسيد والمعبود بُعْد[3].

---

(١) الاسم المشترك لفظ واحد تشترك فيه معانٍ كثيرةٍ؛ كالعين ونحوها، فإنه يجمع معاني كثيرة، قال السيوطي: المشترك حدَّهُ أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السَّواءِ عند أهل تلك اللغة، أما في جواز استعمال اللفظ المشترك في معنييه أو معانيه فالشافعي والجمهور ذهبوا إلى جوازه، والحسن البصري ذهب إلى منعه، (إرشاد الفحول ٢٠، المزهر ١/٣٦٩).

(٢) المجمل ما لا يفهم المراد به من لفظه، ويفتقر في بيانه إلى غيره.. (انظر كتاب الحدود في الأصول ص ٤٥ـ٤٦).

(٣) أبدى الإمام ابن القيم تفسيراً بديعاً لارتباط دعاء عيسى عليه السلام بـ: (اللهمَّ ربَّنا) فقال: تحت هذا الدعاء سرٌّ عجيب دالٌّ على كمال معرفة المسيح بربه وتعظيمه له؛ فإن هذا السؤال كان عُقَيْبَ سؤال قومه: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٢] فخوَّفَهم بالله، وأعلمهم أن هذا مما لا يليق أن يُسأل عنه، وأن الإيمان يردُّه، فلما ألحُّوا في الطلب وخاف المسيح أن يداخلهم الشك إن لم يُجابوا إلى ما سألوا به، بدأ بالسؤال باسم (اللهمَّ) الدالّ على الله بجميع أسمائه وصفاته، ففي ضمن ذلك تصوره بصورة المثني الحامد الذاكر لأسماء ربه المثني عليه بها... فيحصل بذلك من زيادة الإيمان والثناء =

فائدة: الاختلاف في كون البقرة التي أُمِرَ بنو إسرائيل بذبحها[١] وحشيةً أو أنسيةً، وفي العضو الذي ضُرِبَ به القتيل[٢]، وفي القاتل مما لا يُصوِّبُ فيه المختلفون[٣]. ومثل هذا الاختلاف ضربان:

أحدهما:

ما يقطع بأن الحقَّ في أحدهما، كالاختلاف في البقرة هل كانت وحشيةً أو أنسيةً؟

الثاني:

مـا يمكـن ألاّ يكون الحق في قول أحد من المختلفين، كالبعض من البقرة الذي ضُرب به القتيل يمكن أن يكون الواقع خلاف جميع ما قيل، لكن يبعد أن يغيب الصواب في ذلك عن جميع الأمة إذا انحصرت أقوالهم

= على الله أمر يحسن معه الطلب ويكون كالعذر فيه، فأتى بالاسمين: اسم الله الذي يثني عليه به، واسم الرب الذي يدعى ويسأل به لما كان المقام مقام الأمرين: الثناء والطلب.. ولم يجيء في القرآن سواه. (بدائع الفوائد ٢/ ١٩٤).

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٧٠] وذلك أنهم وجدوا قتيلاً بين أظهرهم، قيل اسمه عاميل، واشتبه أمر قاتله عليهم، ووقع بينهم خلاف فسألوا موسى أن يدعو الله فسأل موسى عليه السلام ربه فأمرهم بذبح بقرة.. فراحوا يسألونه تعنيتاً منهم وقلة طواعية، ولو امتثلوا الأمر وذبحوا أي بقرة كانت لحصل لهم المقصود، لكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، ودين الله يسر، والتعمق في سؤال الأنبياء وغيرهم من العلماء مذموم. (الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٤٤-٤٤٥).

(٢) المقطوع به عضو من أعضائها، ولا يَضُر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله. (جامع البيان ١/ ٣٦٠).

(٣) صوَّبتُ قوله: قلت إنه صواب، وهنا أي لا يستطيع المختلفون تحديد الوجه المقصود بدقة.

فيما قيل بخلاف ما يقع جواباً لأسباب مختلفة؛ إذ يجوز تصويب المختلفين في السبب إذا كان الجواب صالحاً لإجابة الجميع، مثل اختلافهم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾[1] [التحريم: ١] فقيل سببه تحريم العسل، وقيل سببه تحريم ماريّة[2] فيجوز أن تنزل الآية بسبب التحريمين جميعاً، وإن لم يكن كذلك لم يحمل على بعض الأقاويل من عقل أو نقل أو شرع أو غلبة استعمال أو عادة أو سياق، فإن لم يكن شيء من ذلك وجب التوقف، إلاَّ عند من يجمع بين المشترك والحقيقة والمجاز[3] فإنه يجمع بين جميع محتملات الألفاظ.

ثم الاختلاف في البعض من البقرة المضروب به القتيل يجوز أن يكون ممّا أمر اللهُ به معيناً فامتثلوه ووقع الإبهام في الإخبار عنه، ويجوز أنه أمرهم بالضرب بعضوٍ مُبْهمٍ فعيَّنوا عضواً ضربوه به، ويجوز أنه أمرهم ببعض مبهم في اللفظ معين في المعنى وبينه موسى عليه السلام وعينه

---

(١) اختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جل ثناؤه أحله لرسوله، فحرمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه، فقال بعضهم: كان ذلك ماريّة مملوكته القبطية، وقال آخرون: بل حرم رسول الله جاريته، وقال آخرون: كان ذلك شراباً يشربه، كان يعجبه ذلك. (جامع البيان ٢٨/١٥٦).

(٢) قال ابن جرير: الصواب أن يقال: كان الذي حرمه النّبي ﷺ على نفسه شيئاً كان الله قد أحلَّه له، وجائز أن يكون ذلك جاريته وجائز أن يكون شراباً من الأشربة، وجائز أن يكون غير ذلك، غير أنه أي ذلك كان، فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله. (جامع البيان ٢٨/١٥٨).

(٣) قد يجتمع الوصفان في لفظ واحد، فيكون حقيقة ومجازاً، كاللفظ الموضوع في اللغة لمعنى، وفي الشرع أو العرف لمعنى آخر، فيكون استعماله في أحد المعنيين حقيقة بالنسبة إلى ذلك الوضع، مجازاً بالنسبة إلى الوضع الآخر. (المزهر: ١/٣٦٧، قواعد الأحكام ٥٧٣).

لهم، كل ذلك جائز. ولا يجوز لأحدٍ أن يعين بعض هذه الاحتمالات إلا بدليل[1].

[الغرض من التفسير]

والغرض من التفسير الوقوف على مقاصد القرآن المفيد للأمور الدينية[2]، وأمّا عِرفانُ العضو الذي ضُرِبَ به القتيلُ، ومعرفةُ القريَةِ التي أُمِروا بدخولها[3]، ومعرفة الحجر الذي ينبجس بضرب موسى عليه السلام هل كان معيناً بقدر رأس الإنسان أو أكبر أو كان حجراً غير معين فهذا كله لا يفيد أمراً دينياً[4]، وكذلك معرفة أسماء البلدان المبهمة في القرآن[5]، ومعرفة أصحاب الكهف واسم ملكهم واسم مدينتهم واسم

---

(١) كمعرفة سبب النزول؛ إذ لا يمكن معرفة تفسير ذلك بدون الوقوف على القصة وبيان نزولها. قال ابن تيمية: معرفة أسباب النزول تعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وقال ابن دقيق العيد: معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. (الفوز الكبير في أصول التفسير ص ٥٤).

(٢) ينظر موضوع الغرض من التفسير كتاب: أبجد العلوم ص ٢١٧ـ٢٤٦.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨]، أخرج عبد الرزاق عن قتادة أنها بيت المقدس، وكذلك عن السدي وعن الربيع وابن زيد. (جامع البيان ١/ ٢٩٩، مفحمات الأقران ١٣).

(٤) في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠] قال الآلوسي:
وفي المراد من الحجر خلاف، فقال الحسن: لم يكن حجراً معيناً، بل أي حجر ضربه انفجر منه الماء، وهذا أبلغ في الإعجاز، وأبين في القدرة... ولا ينبني على تعيين هذا الحجر أمر ديني والأسلم تفويض علمه إلى الله تعالى، وكان الصحابة رضي الله عنهم يرون مثل ذلك قبيحاً، بل من قبيل تضييع الوقت. (الفوز الكبير ٩٧ـ٩٨، تفسير روح المعاني ١/ ٢٧٠، التفسير والمفسرون ١/ ١٨٠).

(٥) علم المبهمات علم شريف اعتنى به السلف كثيراً، فألف فيه ابن عساكر كتاب =

كلبهم[1] وكذلك الذي شُبِّه بعيسى عليه السلام[2] فصُلِبَ، هل كان حوارياً أو يهودياً، وكذلك الاختلاف في عدة أصحاب فرعون لما تبع موسى عليه السلام، كل ذلك مما لا تمس الحاجة إليه ولا تحث الضرورة عليه.

وعلى الجملة فمقاصد القرآن الكريم أنواع[3]:

أحدها: الطلب وهو أربعة أضرب[4].

= (التكميل والإتمام)، والسهيلي كتاب (التعريف والإعلام)، وجمع بينهما القاضي بدر الدين بن جماعة في كتاب سماه (التبيان في مبهمات القرآن)، والسيوطي كتاب (مفحمات الأقران في مبهمات القرآن) وغيرها.

(١) قال أبو جعفر: كان أصحاب الكهف صيارفة، وقال مجاهد: كانوا أبناء عظماء أهل مدينتهم، والرقيم: وادٍ قريب من بيت المقدس، والكهف في ذلك الوادي، وكلبهم اسمه قطمير، قاله الحسن، وقال مجاهد: قطمورا أو غير ذلك. (مفحمات الأقران ٦٧).

(٢) أخرج ابن جرير عن ابن إسحاق أن الذي ألقي عليه شبهه رجل من الحواريين اسمه سرجس (مفحمات الأقران ٣٦).

(٣) ينظر كتاب قواعد الأحكام للمؤلف ص ٢٣٢ـ٢٣٩، وفيه ذكر لأقسام القرآن وبعض مقاصده.

(٤) الطلب في اللغة وجْدَانُ الشيء وأخذه، وفي البلاغة: استدعاءُ غيرِ حاصل. أي طلب حصول غيرحاصل وقت الطلب، وأقسامه كثيرة، منها:
الأول: الأمر، وهو طلب الفعل نحو: (اتقوا الله)، (أقيموا الصلاة). . .
الثاني: النهي، وهو طلب الكف عن الفعل، نحو: (لا تقربوا الزنا) (لا تجسسوا).
الثالث: الدعاء، وهو طلب الفعل مع التذلل والخضوع، نحو: (ربنا اغفر لنا ذنوبنا).
الرابع: التمني، وهو طلب المحبوب ولو محالاً، نحو: ليت الشباب يعود يوماً.
الخامس: الاستفهام، وهو طلب حصول ما في الخارج في الذهن، فيشمل التصور والتصديق، وحروفه الهمزة وهل وأم، ويستفهم نيابةً عن الهمزة بـ: ما ومن وأيّ وكم وكيف وأين ومتى وأنى وأيّانَ. (المصباح في المعاني والبيان والبديع ص ٨٣ـ٩٣).

النوع الثاني: الإذن والإطلاق[1].

النوع الثالث: النداء، والنداء تنبيه للمنادى ليسمع ما يلقى إليه بعد النداء من الكلام ليعمل بمقتضاه ولذلك كثر النداء في القرآن[2].

وأما وصف المنادى فأربعة أقسام:

أحدها: ما لا حثَّ فيه كقوله: ﴿يا أيها الناس﴾[3] وغيرها.

الثاني: فيه حثٌّ كالوصف بالإيمان[4]، وله فائدتان: إحداهما: الحثُّ على ما يأمر به وينهى عنه بعد النداء، فإن الإيمان موجب للطاعة والإذعان، الفائدة الثانية: إكرام المؤمنين بندائهم بأشرف أوصافهم وأحبها، فيحثهم ذلك الإكرام على لزوم الطاعة والإذعان.

الثالث: نداء النبي[5] بالنبوة،وفيه فائدة التفخيم والإكرام والحثِّ على

---

(١) يقال: أَذِنْتُ له في كذا: أطلقتُ له فعله، والاسم الإذن، واستأذنته في كذا طلبت إذنه فأذن لي منه: أطلق لي فعله. (المصباح المنير: أذن).

(٢) كثر النداء في القرآن بما له من قيمة وأهمية، وبما يتضمنه من دلالات، سواء أكان النداء على مقتضى الظاهر أم على غير مقتضى الظاهر، قال الزمخشري وغيره: كثر في القرآن النداء بـ(يا أيها) دون غيره، لأن فيه أوجهاً من التأكيد وأسباباً من المبالغة؛ منها ما في (يا) من التأكيد والتنبيه، وما في (ها) من التنبيه، وما في التدريج من الإبهام في (أيّ) إلى التوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد؛ لأن كل ما نادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره، ووعده ووعيده، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعانٍ واجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم إليها، وهم غافلون، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ. (الإتقان ٢/ ٨٣).

(٣) ورد النداء بـ﴿يا أيها الناس﴾ في القرآن الكريم (٩٢) مرةً.

(٤) ورد النداء بـ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ في القرآن الكريم (٩٠) مرةً.

(٥) ورد النداء بـ﴿يا أيها النبي﴾ (١٣) مرةً، قال الإمام العز حول تفضيل النّبي ﷺ: إنَّ الله تعالى وقَّره في ندائه فناداه بأحب أسمائه، وأسنى أوصافه فقال: ﴿يا أيها النبي﴾ و ﴿يا أيها الرسول﴾ وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره (بداية السول في =

الطاعة والإذعان شكراً لنعمة النبوة.

الرابع: النداء بالرسالة(١) وفيه الفائدتان المذكورتان في النداء بالنبوة مع التأكيد بذكر الرسالة، وهي من النعم الجسام(٢) لأنها تستلزم النبوة وتحث على تبليغ الرسالة، فما أحسن قوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

النوع الرابع: مدح الأفعال(٣).

النوع الخامس: مدح الفاعلين لأجل الفعل الذي وُصِفوا به(٤).

النوع السادس: ذمُّ الأفعال(٥).

= تفضيل الرسول للعز بن عبد السلام ص ٣٧).

(١) ورد النداء بيا أيها الرسول مرتين: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

(٢) فائدة:

القرآن الكريم نزل على نبيِّنا محمد ﷺ، وليس فيه (يا محمد) وإنما ناداه الله بوصفه دون اسمه ﴿يا أيها الرسول.. يا أيها النبي.. يا أيها المزمل.. يا أيها المدثر﴾.

وما ذاك إلا تكريم من الله عز وجل لنبينا محمد ﷺ، فهذا من الخصائص النبوية التي اختص الله بها نبينا محمداً ﷺ، وتوقير الشخص بندائه بوصفه لا باسمه من الآداب التي تركزت في طباع الناس إلى اليوم. (الشفا للقاضي عياض ٢٤-٢٥، البحر ١/١٤٨).

(٣) مدح الأفعال ترغيباً فيها للحث عليها، كقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [البقرة: ٢٧١].

(٤) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

(٥) ذم الأفعال تنفيراً منها، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢].

النوع السابع: ذم الفاعلين لأجل الفعل الذي وُصفوا به[1].

النوع الثامن: الوعد بالخير العاجل[2].

النوع التاسع: الوعد بالخير الآجل[3].

النوع العاشر: الوعيد بالشر العاجل[4].

النوع الحادي عشر: الوعيد بالشر الآجل[5]. وكل هذه الأخبار تابعة للأحكام مؤكدة لها إما بالترغيب فيها إن كانت قربة أو بالترهيب منها إن كانت معصية.

النوع الثاني عشر: الأمثال وهي مؤكدة للأحكام[6] ترغيباً أو ترهيباً أو تقبيحاً أو تحسيناً[7].

النوع الثالث عشر: التكرير[8] وهو دال على الاعتناء والاهتمام

---

(١) كقوله تعالى: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١].

(٢) كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] وقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

(٣) كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

(٤) كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

(٥) كقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥] وقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الملك: ٦].

(٦) ينظر الإمام في بيان أدلة الأحكام: فصل فيما يتضمنه ضرب الأمثال من الأحكام ص ١٤١، وكتاب أمثال القرآن للماوردي، وأمثال القرآن لابن القيم.

(٧) الأمثال في القرآن الغرض منها المبالغة في الإيضاح والبيان، حتى يصير الغائب كالحاضر، والمتخيل كالمتحقق، والمتوهم كالمتيقن، ولذلك كثرت الأمثال في كتب الله، وفي الإنجيل سورة الأمثال، والمَثل في اللغة بمعنى المِثْل ومَثَل ومثيل كما يقال: شبَه وشِبْه وشبيه. (الإشارة إلى الإيجاز ٩١، قواعد الأحكام ص ٢٣٤ـ٢٣٥).

(٨) في التكرار حرص على البيان والتقرير في الجَنان، كما تكررت المواعظ =

بالمكرَّر، فتكرير صفات الله دال على الاعتناء بمعرفتها والعمل بموجبها، وتكرير القصص دال على الاهتمام بالوعظ للإيقاظ والاعتبار[1].

وفائدة تكرير القصص تطرية المواعظ وتجديدها؛ لأن منها ما يحث على الطاعة والإيمان، ومنها ما يزجر عن الكفر والعصيان، وكذلك تكرير الوعد والوعيد، وكذلك تكرير ذكر الأحكام، وكذلك تكرير المدح، والمدح والذم وما يترتب على المأمورات والمنهيات من المؤكدات المذكورات، فتكرير الوعد يدل على الاهتمام بفعل الطاعات ترغيباً في ثوابها، وتكرير الوعيد يدل على الاهتمام بترك المخالفات ترهيباً من عقابها، وتكرير القرآن بين الوعد والوعيد يدل على الاهتمام بوقوف العباد بين الخوف والرجاء[2] فلا يَقْنَطُوا من رحمة الله وإفضاله، ولا يغترُّوا بحلمه وإمهاله، وتكرير الأحكام يدل على الاعتناء بفعل الطاعات واجتناب المخالفات، وتكرير الأمثال يدل على الاعتناء بالإيضاح والبيان، وتكرير تذكير النعم يدل على الاعتناء بشكرها.

= والقصص والأمر والزجر والوعد والوعيد والترغيب والترهيب وغير ذلك في القرآن، ولا شك أن في التكرير والإكثار من التقرير في القلوب ما ليس في الإيجاز والاختصار، ومن نظر إلى تكرير مواعظ القرآن ووصاياه ألفاها كذلك، وإنما كررها الإله سبحانه لما علم فيها من إصلاح العباد، وهذا هو الغالب المعتاد. (قواعد الأحكام ١/١٣٦، وينظر التقرير في التكرير لابن عابدين، وأمثال القرآن لابن القيم، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل ص ٩٩).

(١) ألف الإمام بدر الدين بن جماعة في هذا الموضوع كتاب (المقتنص في فوائد تكرار القصص).

(٢) عقد الإمام الغزالي الكتاب الثالث من ربع المنجيات للخوف والرجاء، وبيَّن بتوسُّع حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما. (إحياء علوم الدين ج٤/١٤٢ـ١٥٥، وذكر العز في تعريف الخوف أنه ناشىء من معرفة شدة الانتقام، والرجاء هو ناشىء من معرفة سعة الرحمة والإنعام، قواعد الأحكام ٣٠١، ٦٧٠).

واعلم أنّه لا تؤكد العرب إلاّ ما تهتم به[١] فإن من اهتم بشيء أكثر ذكره، وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد، وكلّما خفَّ خف التأكيد، وإن توسَّطَ الاهتمامُ توسط التأكيد، فإذا قال القائل: زيد قائم فقد أخبر بقيامه، فإن أراد تأكيد ذلك عند مَن شك فيه أو بكذبه أو ينازعه فيه أكَّدَهُ فقال: إنَّ زيداً قائم فإذا جاء بـ (إنَّ) فكأنه قال: زيدٌ قائم زيدٌ قائم، فإن زاد في التأكيد قال: إنَّ زيداً لقائمٌ فيصير بمثابة ما لو قال: زيد قائم ثلاثَ مرات[٢].

أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ١-٤] تأكيد لقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] وقوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] تأكيد لقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤] لما وقع الاهتمام بأنه لا يوافقهم على عبادة الأصنام وبأن الله قد حرمهم أن يدخلوا في دين الإسلام أكَّد ذينك لشدة الاهتمام بهما، فهذا تأكيد واحد لكل واحد من الخبرين، وعلى الجملة فقد أكد نفي عبادته لأصنامهم

---

(١) التكرير قسم من أقسام البلاغة، وهو من محاسن الفصاحة، فيه دلالة اللفظ على المعنى مردداً، لتأكيد غرض من أغراض الكلام أو للمبالغة فيه أو التنويه به والإشارة إليه بالذكر وتقريره، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر» ومن مذاهب العرب التكرار إفادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز (انظر كتاب التقرير في التكرير لابن عابدين، قواعد الأحكام ص ٢٣٢-٢٣٤).

(٢) ينظر دلائل الإعجاز وأمثلة التوكيد في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٧ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ١٣-٢١] ص ١٧٠.

بقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤] وأكد نفي عبادتهم لمعبوده بقوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٥] وإن حمل ذلك على وقتين مختلفين فلا تأكيد إذن[١].

ومثال تكرير التأكيد قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا﴾[٢] [التكاثر: ١-٣] المعنى: ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد عن الاستعداد للمعاد[٣] ثم زجرهم عن التكاثر بقوله: ﴿كلاّ﴾ [التكاثر: ٣] ثم هدَّدَهم بقوله: ﴿سوف تعلمون﴾.

ثمَّ أكَّدَ الزجر الأول بكلاًّ الثانية، ثم أكد التهديد بسوف تعلمون ثم أكد الزجر بكلا الثالثة فزجرهم ثلاث مرات للاهتمام بزجرهم عن ذلك، وهدَّدهم على ذلك مرتين للاهتمام بالاستعداد للمعاد، ومثل هذا قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ١-٥] زجرهم بكلا الأولى عن التساؤل والاختلاف، ثم أكَّد كلا الأولى بكلا الثانية وتهدَّدهم فيما بينهما بقوله بعد ﴿سيعلمون﴾ ثم أكد هذا التهديد بقوله بعد كلا الثانية ﴿سيعلمون﴾، وأما تكرير قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ المرسلات: ١٥] فيجوز أن يكون ما عدا الكلمة الأولى تأكيداً لها وأن تتكرر العدة بالويل على من كذب بقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٧] ويجوز أن يريد بكل عدة من عذاب الويل من كذب بما بين عدتي كل ويل[٤].

---

(١) وهذا ما أيّده السيوطي في الإتقان ٢/٦٨، وانظر بدائع الفوائد لابن القيم ج١/١٢٣-١٤٢.

(٢) وجاء تكرير الردع للإنذار والتخويف (تفسير النسفي ٤/ ٣٧٤).

(٣) ينظر معنى التأكيد في هذه السورة التفسير القيم ص ٥١٥-٥١٦.

(٤) في سورة المرسلات ذكر سبحانه قصصاً مختلفة، وأتبع كل قصة بهذا القول ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ فكأنه قال عَقِبَ كل قصة: ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة. (الإتقان ٢/ ٦٧).

وأما قوله[1]: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] فيجوز أن تكون مكررة على جميع أنعمه، ويجوز أن يراد بكل واحدة منهن ما وقع بينها وبين الذي قبلها من نعمة، ويجوز أن يراد بالأولى ما تقدمها من النعم وبالثانية ما تقدمها وبالثالثة ما تقدم على الأولى والثانية وبالرابعة ما تقدم على الأولى والثانية والثالثة، وهكذا إلى آخر السورة، فإن قيل كيف يكون قوله[2]: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] نعمة وقوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ﴾[3] [الرحمن: ٤١] نعمةً وكذلك قوله: ﴿هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرحمن: ٤٣] وقوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: ٣٥] وقوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] قلنا: هذه كلها نعم جسام لأن الله هدَّدَ العبادَ بها استصلاحاً لهم ليخرجوا من حيِّز الكفر والطغيان والفسوق والعصيان إلى حيِّز الطاعة والإيمان والانقياد والإذعان،فإنَّ من حذَّر من طرق الردى وبيَّن ما فيها من الأذى،وحثَّ على طرق السلامة الموصلة إلى المثوبة والكرامة كان منعماً عليه غايةَ الإنعام ومحسِناً غاية الإحسان.

ومثل ذلك قوله: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ [يس: ٥٢] وعلى هذا تصلح فيه مناسبة الربط بذكر صفة الرحمة في ذلك المقام، وأما قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] فإنه تذكير بالموت والفناء للترغيب في الإقبال على العمل

---

(١) تكررت ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ إحدى وثلاثين مرةً في سورة الرحمن، وكل واحدة تتعلق بما قبلها، ولذلك زادت على ثلاثين، ولو كان الجميع عائداً إلى شيء واحد لما زاد على ثلاثة؛ لأن التأكيد لا يزيد عليها. قاله الإمام العز بن عبد السلام. (الإتقان ٢/ ٦٨).

(٢) قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك، يريد سأتجرد لك للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه، والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه. (تفسير النسفي ٤/ ٢١٢).

(٣) وسيماهم سواد وجوههم وزرقة عيونهم.

لدار البقاء وفي الإعراض عن دار الفناء[1]. وأما قوله: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾[2] [الروم: ٤٨-٤٩] فإن تقديره عند بعضهم[3] وإن كانوا من قبل إنزال القطر عليهم من قبل إنزاله لمبلسين، فأكد قبل الأولى بقبل الثانية. وهذا لا اهتمام فيه، فإنه معلوم أن اليأس من نزول المطر كان محققاً قبل الإنزال فلا حاجة في مثل هذا إلى التأكيد، وقدر آخرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبل إرسال الرياح أو من قبل إثارة السحاب لمبلسين فعلى هذا لا يكون تكريراً ولا تأكيداً.

وأما قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢] ففيه ثلاث تأكيدات:

أحدها: إنَّ[4]، والثاني: اللام في للهدى[5]، والثالث: تقديم الخبر، فإن

---

(١) في الإتقان وقد سُئِل عن أيِّ نعمة في قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] فأجيب بأجوبة أحسنها النقل من دار الهموم إلى دار السرور، وإراحة المؤمن والبار من الفاجر (الإتقان ١/ ٦٧).

(٢) الآية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٨ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم: ٤٨-٤٩] والمبلس اليائس ومنه سمي إبليس، والإبلاس أيضاً: الانكسار والحزن.

(٣) هذا رأي الأخفش كما نقله أبو حيَّان في البحر المحيط: قال الأخفش: ﴿مِنْ قبله﴾ تأكيد لقوله: ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ وقال ابن عطية: أفاد الإعلام بسرعة تقلُّب البشر من الإبلاس إلى الاستبشار، وذلك أن قوله: ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ يحتمل الفسحة في الزمان، أي من قبل أن ينزل بكثير، كالأيام ونحوه، فجاء قوله ﴿من قبل﴾ بمعنى أن ذلك متصل بالمطر فهو تأكيد مقيد. وقال الزمخشري: وبمعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم بذلك. (البحر المحيط ٧/ ١٧٨-١٧٩).

(٤) إنَّ: حرف توكيد تنصب الاسم وترفع الخبر. (مغني اللبيب ٥٥).

(٥) هذه اللام لام الابتداء وفائدتها توكيد مضمون الجملة، ولهذا زحلقوها في باب إنَّ عن صدر الجملة كراهة ابتداء الكلام بمؤكدين (مغني اللبيب ٣٠٠).

العرب لا يقدِّمون إلاَّ ما يعتنُونَ به ويهتمون[1]، ومثله قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ ﴾[2] [الحجر: ٧٥] وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً ﴾[3] [النور: ٤٤] أكَّدَ بإنَّ واللام وتقديم الخبر.

وقد يُتَوهَّمُ التأكيد فيما ليس بتأكيد في مثل قوله: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾[4] [البقرة: ١٩٦] فإنه لم يُرِدْ كمالها في العدد، ولو أراده لكان تأكيداً، وإنما أراد كمالها في صفتها، فإن كمال الصيام في تتابعه بدليل وجوب المتابعة حيث أمرنا بها فيه، فلما تقرر في الشريعة أن متابعة الصوم أفضل من تفريقه وقيدت هذه الأيام بالتفريق فقد يظن ظان أنها ناقصة لتفريقها وإن كمالها في تتابعها أخبر أن كمال هذه الأيام في تفريقها لا في تتابعها. ويحتمل أن يريد بالكاملة كمال الصوم بترك الرفث والفسوق وترك المشاتمة وغير

---

(١) ذكر سيبويه مزية التقديم في كلام العرب فقال: إنَّهم ممّا يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى... (الكتاب ١/ ١٦، دلائل الإعجاز ٧٩).

(٢) وردت هذه العبارة في عدة آيات منها:
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥].
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢] [الروم: ٢٤].
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٧٩، النمل: ٨٦، العنكبوت: ٢٤، الروم: ٣٧، الزمر: ٥٢].
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُولِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه: ١٢٨].
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١، الجاثية: ١٣، الزمر: ٤٢].
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ١٣].
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [لقمان: ٣١، سبأ: ١٩، الشورى: ٣٣].

(٣) وردت هذه العبارة في قوله تعالى:
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران: ٣، النور: ٤٤].
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [النازعات: ٢٦].

(٤) تمام الآية: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ذلك[1] مما يكون اجتنابه أو فعله مكملاً للصوم؛ فإن العبادات تنقسم إلى كاملة وناقصة، فالناقصة ما اقتصر فيها على أركانها وشرائطها، والكاملة ما أتى فيها بالأركان والشرائط والسنن.

[أحكام التفسير]

واعلم أن للتفسير أحكاماً ضرورية فمن ذلك فهم معنى اللفظ[2]،وهو منقسم إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يعرفه العامة والخاصة كالأرض والسماء والجبال والرجال والأشجار والأمطار.

الثاني: ما يعرفه معظم الخاصة كالمعاد والملاذ[3].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] أقوال:
أحدها: أن معناها كاملة في قيامها مقام الهَدْي، وإلى هذا ذهب ابن عباس والحسن.
الثاني: أن معناه تلك عشرة كاملة في الفضل، وإن كانت الثلاثة في الحج والسبعة بعد؛ لئلا يسبق إلى وهم أحد أن السبعة دون الثلاثة.
الثالث: أن هذا اللفظ لفظ خبر ومعناه الأمر، فتقديره: تلك عشرة فأكملوها.
الرابع: أن ذلك للتوكيد، والقرآن نزل بلغة العرب وهي تكرر الشيء لتوكيده؛ وقد ردَّ العز هذا القول ورجَّح أنَّ إعادة ذكر العشرة لرفع توهم أن الواو في ﴿وسبعة﴾ بمعنى (أو) فتكون الثلاثة داخلة فيها. (البرهان للزركشي ٢/ ٤٨٢، الإتقان ٢/ ٧٢، زاد المسير ١/ ١٩٦-١٩٧).

(٢) أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللَّبِن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وقد كثر التأليف في تفسير الألفاظ وغرائب المفردات القرآنية لتسهيلها على الناس ككتاب (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصبهاني فهو تفسير جامع لما وَرَد في القرآن من الكلمات الصعبة. .

(٣) المَعاد: المصير والمرجع، والآخرة معاد الخلق، ومنه: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ=

الثالث: ما يعرفه القليل من الخاصة كالرَّفْرَف والصَّفْصَفِ[1].

ومن ضروب التفسير ما يتردد بين مَحْمَليْن، أحدهما أظهر عند النزول فيرجع فيه إلى الصحابة والتابعين ويحمل على ظاهره حينئذ، ومنه ما يحمل على أخفى محمليه لدليل يقوم عليه، ومنه ما يتساوى فيه الأمران فيخص أحدهما بالسبب الذي نزل لأجله، ومنه ما يتساوى من غير ترجيح عندنا وهو راجح في نفس الأمر؛ لأن الرسول عليه السلام قد بيَّن للناس ما نزل إليهم[2] فبعض المتأخرين يحمله على جميع محامله والوقف أولى به، وقد يتردد بين محامل كثيرة يتساوى بعضها مع بعض ويترجح بعضها على بعض.

وأولى الأقوال ما دلَّ عليه الكتاب في موضع آخر[3] أو السنة أو إجماع الأمة أو سياق الكلام. وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما

= ﴿ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]. والملاذ: الملجأ.

(١) الرفرف من قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] ضرب من الثياب، مشبه بالرياض وعن الحسن أنها المخادّ.
الصَّفصف: المستوي من الأرض؛ كأنها على صف واحد، قال تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦].

(٢) من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فسره في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه.. فإن أعياه ذلك طلبه من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وقد قال الشافعي رضي الله عنه: كلُّ ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] في آيات أُخر، فإن لم يجده من السنة رجع إلى أقوال الصحابة به، فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

(٣) وهو ما يسمى تفسير القرآن بالقرآن، ولا شك أن تفسير القرآن بعضه ببعض أولى التفاسير ما وجد إليه السبيل، ولهذا كان يعتمده الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الأئمة.

أوضح وأشد موافقةً للسياق كان الحمل عليه أولى. وقد يقدر بعض النحاة ما يقتضيه علم النحو لكن يمنع منه أدلة شرعية[1] فيترك ذلك التقدير ويقدر تقدير آخر يليق بالشرع، وقد يعبر النحاة والمفسرون وغيرهم بالعام ويريدون به الخاص فيجهله كثير من الناس[2].

---

(١) كما في قوله تعالى مثلاً: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] المعنى أن الله يصطفي من خلقه لرسالته من يعلم أنه يصلح لها، و (ما) على هذا نافية أي: ما كان للناس اختيار فيمن يرسله الله إليهم رسولاً.
ومن بدع التفاسير جعل (ما) موصولة، فيصير المعنى: أن الله يختار لخلقه الأمر الذي لهم الخيرة فيه، وهذا مخالف لسبب النزول، ومن البدع أيضاً جعل (ما) مصدرية وتسبك مع ما بعدها بمصدر، والمعنى يختار اختيارهم فيه، ومن قال: ومعناه ويختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح فهو مائل إلى الاعتزال. (الكشاف ٣/ ١٧٧، بدع التفاسير ١٠٠، زاد المعاد ١/ ١٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٣، البحر المحيط ٧/ ١٢٩، تفسير النسفي ٣/ ٢٤٣).

(٢) العام على ثلاثة أقسام: الأول الباقي على عمومه كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١] وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] فإنه لا خصوص فيها.
الثاني العام المراد به الخصوص، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] والقائل واحد وهو نعيم بن مسعود، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤] أي رسول الله ﷺ لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة.
الثالث: العام المخصوص، وأمثلته في القرآن كثيرة جداً.
من أمثلة العام والخاص ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢].
قال الزجّاج: المراد من السفهاء ههنا مشركو العرب.
وقال مجاهد: هم أحبار اليهود.
وقال السدي: هم المنافقون.

وعلى الجملة فالقاعدة في ذلك أن يُحمَل القرآن على أصح المعاني وأفصح الأقوال فلا يحمل على معنى ضعيف[1]، ولا على لفظ ركيك وكذلك لا يقدر فيه من المحذوفات إلاَّ أحسنها وأشدها موافقةً وملائمة للسياق[2].

وإذا كان للاسم الواحد معانٍ كالعزيز بمعنى القاهر وبمعنى الممتنع وبمعنى الذي لا نظير له حُمِلَ في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق[3] كيلا يتبتر الكلام وينخرم النظام، وإذا اتحد معنى القراءتين كالسِّراط

= قال ابن عباس: هم أهل مكة.
وقال ابن كثير: الآية عامة في هؤلاء كلهم، وهذا القول أعمُّ وأشملُ؛ إذ لا موجب للتخصيص. (ينظر الرسالة للشافعي ٣٦ـ٣٧، الإتقان ٢/١٦ـ١٧، زاد المسير ١/١٤٢، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ٢٨ـ٢٩).

(١) من الأمور المهمة أنَّ القرآن يجب أن يكون المصدر الأول لكل القواعد والقوانين، ومنها القواعد النحوية؛ فإنَّ لغة القرآن أفصح أساليب العربية على الإطلاق، ولا يجوز تحريف كلام الله انتصاراً لقاعدة نحوية، فهدمُ مئة قاعدةٍ أسهلُ من تحريف معنى الآية، فقواعد الإعراب والتصريف الصحيحة مستفادة من القرآن، مأخوذة من إعرابه وتصريفه، وهو الشاهد على صحة غيرها مما يحتج له بها، فهو الحجة لها والشاهد، وشواهد الإعراب والمعاني منه أقوى وأصح من الشواهد في غيره. (ينظر الإشارة إلى الإيجاز ٤، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٣، مغني اللبيب ٤٢٧، ٤٢٩، بدائع الفوائد ١/٤٥، مختصر الصواعق المرسلة ٩١ـ٩٢).

(٢) كقوله تعالى عن بني إسرائيل ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] أي حرمنا عليهم أكل طيبات، أو تناول طيبات أحل لهم أكلها، أو تناولها، وتقدير التناول أولى؛ ليدخل فيه شرب ألبان الإبل، فإنها من جملة ما حرم عليهم. (مغني اللبيب ٨١٢، الإشارة إلى الإيجاز ص ٢ـ٣).

(٣) من معاني العزيز الذي يُقهِرُ ولا يُقهَرُ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]. وفي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] أي ليمتنعوا به من العذاب، وفي قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١] أي يصعب مناله ووجود مثله. (المفردات: عزَّ ٣٣٣، الوجوه والنظائر لابن الجوزي ٤٣٥ـ٤٣٦، الإمام للعز بن عبد السلام ١٦٢).

والصِّراط[1] فهذا ظاهر،وإن اختلف معناهما وجب القطع بأنهما مرادتان، مثال ذلك قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] ويُكَذِّبون[2] أخبر بأنهم يعذبون بالتكذيب والكذب وهذا اختصار في صورة الخط دون اللفظ.

ومن ضروب التفسير وأحكامه بيان كون اللفظ حقيقةً أو مجازاً[3]، ومنه بيان رجحان إحدى الحقيقتين على الأخرى، ومنه بيان رجحان أحد المجازين على الآخر، ومنه بيان ترجيح الحقيقة على المجاز، ومنه بيان ترجيح ما يناسب الكلام ويطابقه على ما ليس كذلك، ومنه[4] ترجيح

---

(١) قرأ ابن كثير (اهدنا السِّراط المستقيم) بالسين، وحجته هي أن السين الأصل، ولا ينتقل من الأصل إلى ما ليس بأصل، وقرأ الباقون ﴿اهدنا الصراط﴾ بالصاد، وحجتهم أنها كُتِبَتْ في جميع المصاحف بالصاد. قال الكسائي: هما لغتان، ومعناهما واحد. (الحجة لابن زرعة ٨٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وعاصم ﴿يَكْذِبون﴾ بفتح الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال، والباقون يُكَذِّبون بضم الياء وتشديد الذال وفتح الكاف، وحجَّتُهم ما روي عن ابن عباس أنه قال: إنما عوتبوا على التكذيب لا على الكذب. (حجة القراءات لابن زنجلة ٨٨ـ ٨٩، سراج القارىء ٨٣، الحجة للفارسي ١/ ٢٥٢ـ٢٥٤).

(٣) الحقيقة: هو اللفظ المستعمل فيما وضع له، وهي أربعة: لغويةٌ كاستعمال الإنسان في الحيوان الناطق، شرعيةٌ كاستعمال لفظ الصلاة في الأفعال المخصوصة، وعرفيةٌ عامة كاستعمال لفظ الدابَّة في الحمار، وخاصة نحو استعمال لفظ الجوهر في الحيز الذي لا يقبل القسمة. أمّا المجاز فهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لمناسبة بينهما مع قرينة. (شرح تنقيح الفصول ٤٢، إرشاد الفحول ٢١، التمهيد للأسنوي ١٧٩، التعريفات للجرجاني ٤٨).

(٤) من ترجيح بعض الإعراب على بعض قوله تعالى: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥] قال الزمخشري إنه عطف على ﴿فالق الحب والنوى﴾، ولم يجعله معطوفاً على ﴿يخرج الحي من الميت﴾ لأن عطف الاسم على الاسم أولى، ولكن مجيء قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس: ٣١] بالفعل فيهما يدل على خلاف ذلك. (الكشاف ٢/ ٣٧، مغني اللبيب ٧٧٣).

بعض الإعراب على بعض، ومنه بيان التقديم والتأخير(١).

ومنه بيان مظان الإطالة(٢)، ومنه بيان مظان الاختصار(٣)، وفائدة الاختصار سهولته على المتكلم وإيصال المعنى على الفور إلى المخاطب كقوله تعالى: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٤)،[يونس: ١٠٦] ومنه الحذف وهو أنواع وقد تقدَّمَتْ في أول هذا الكتاب.

ومن ضروب التفسير وأحكامه تعين المضاف المحذوف(٥)، ومنه ترجيح بعض المضافات المحذوفة على بعض(٦)، ومنه استواء المضافات

---

(١) كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] وأمثال ذلك. والتقديم والتأخير باب واسع من أبواب البلاغة. (انظر دلائل الإعجاز ١٠٨).

(٢) الإطالة نوع من أنواع البلاغة فكما أنه يجب على البليغ في مظان الإجمال أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويشبع، أنشد الجاحظ:

يرمون بالخطب الطوال وتارةً وحي الملاحظ خيفة الرقباء

فذكر المبسوط في موضعه، والمحذوف في موضعه، والموجز والكناية والوحي باللحظ ودلالة الإشارة. (البيان والتبيين ١/ ٣٥ـ٣٦).

(٣) الاختصار هو الاقتصار على ما يدل عليه الغرض، مع حذف أو إضمار. والعرب لا يحذفون ما لا دلالة عليه ولا وصلة إليه؛ لأن حذف ما لا دلالة عليه مناف لغرض وضع الكلام من الإفادة والإفهام، وفائدة الحذف من تقليل الكلام وتقريب معانيه إلى الأفهام. (الإشارة إلى الإيجاز ٢).

(٤) انظر تفسير الآلوسي ١١/ ١٩٩.

(٥) من التفسير الدقيق لمعنى الآية تعين المضاف المحذوف وتقديره في كل مكان بما يليق به؛ فقوله تعالى: ﴿آمنوا بالله﴾ يتعين آمنوا بوحدانية الله، ولا يقدر آمنوا بوجود الله؛ لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مؤمنين بوجوده وأنه خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر وأنزل من السماء المطر، وقد أسهب المصنف في بيان هذا النوع وأقسامه وأدلته في كتابه الإشارة إلى الإيجاز ٨ وما بعدها وفي كتابه الإمام ٢١١ (وانظر معترك الأقران للسيوطي ١/ ٣٢٣).

(٦) كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ [الحشر: ٦] تقديره: فما أوجفتم على أخذه أو على حيازته أو على اغتنامه أو على تحصيله، فيقدر من هذه المحذوفات=

المحذوفة من غير ترجيح[1]، ومنه ترجيحُ بعض المفاعيل المحذوفة على بعض[2] ومنه استواؤها، ومنه تعيين بعضها[3]، ومنه ترجيح بعض ما تصح الإشارة إليه بـ (ذلك)[4] على بعض، ومنه تعين ما يشار إليه بذلك، ومنه عود الإشارة بذلك إلى ما ليس بمذكور، ومنه ترجيح بعض

= أخفها وأحسنها وأفصحها وأشدها موافقةً للغرض في هذه الآية، فتقديره أخذه ههنا أحسن من تقدير اغتنامه لأنه أخصر، ومن تقدير حيازته لثقل التأنيث الذي في حيازته، وكذلك جميع حذوف القرآن لا يقدر إلا أفصحها وأشدها موافقة للغرض. (الإشارة إلى الإيجاز ٤).

(١) يكون استواء المضافات المحذوفة إذا تقارب معناها كقوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦] يجوز أن يكون التقدير: آمنوا بوحدانية الله وبإرسال رسوله أو بنبوة رسوله..
وترجيح أحد المضافين موقوف على توفيق الله لمن ألهمه رشده ويسَّر له فهم كتابه ومعرفة خطابه.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] قال بعضهم: إن التقدير تزعمونهم شركاء، والأولى أن يقدر تزعمون أنهم شركاء بدليل ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ [الأنعام: ٩٤]. (مغني اللبيب ٧٧٤).

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] فذكر لا تقدموا من غير ذكر مفعول، وفيه وجهان:
أحدهما: أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم.
والثاني: أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه، ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة، كأنه يقول: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل، ولا تجعلوه منكم بسبيل، ومثله قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [غافر: ٦٨]. (الكشاف ٣/ ٥٥٢).

(٤) كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، ذلك فيه قولان:
أحدهما: أنه بمعنى هذا، وهو قول ابن عباس.
والثاني: أنه إشارة إلى غائب. وفيه ثلاثة أقوال:
أحدها: أنه أراد به ما تقدم إنزاله عليه من القران.
الثاني: أنه أراد بذلك ما وعد به أهل الكتب السالفة؛ لأنهم وُعِدُوا بنبي وكتاب.
الثالث: أنه أراد به ما وعده أن يوحيه إليه في قوله: ﴿سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]. (زاد المسير ١/ ٢٣).

الموصوفات على بعض، ومنه تعين بعض الموصوفات المحذوفة(١)، ومنه ترجيح ما تعود إليه الضمائر(٢)، ومنه تعين ما تعود إليه الضمائر، ومنه تردد ما تعود إليه الضمائر، ومنه عود الضمائر إلى ما ليس بمذكور(٣)، ومنه عود الضمائر إلى ما دل عليه اللفظ وليس بمذكور(٤).

وعود الضمائر إلى المصادر التي دلت عليها الأفعال ولم تذكر معها كثير في القرآن وفصيح الكلام مثاله قوله: ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(٥)

---

(١) من أمثلة ترجيح بعض الموصوفات قوله: ﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ [صٓ: ٥٢] أي حور قاصرات، ونحو: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾ [سبأ: ١٠-١١] أي دروعاً سابغات. وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها شيء، وهذا من فصيح الكلام وبديعه. (مغني اللبيب ٨١٦، الكشاف ٤/٣٨).

(٢) كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ [الفرقان: ٥٠] ﴿صرفناه﴾ الضمير عائد على الماء المنزل من السماء، وقال ابن عباس: عائد على القرآن، وإن لم يتقدم له ذكر، لوضوح الأمر، ويعضده: ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ ﴾ [الفرقان: ٥٢] لتوافق الضمائر، وقال أبو مسلم: راجع إلى المطر والسحاب والرياح، وقال الزمخشري: صرفنا هذا القول. (البحر ٦/٥٠٦، العكبري ٢/٨٦).

(٣) من أمثلة هذا القسم قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] يعني القرآن ولم يَجْرِ له ذكر في هذه السورة؛ لأن المعنى معلوم، وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [صٓ: ٣٢] يعني الشمس، كناية عن غير مذكور، وقوله: ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] أي على ظهر الأرض، وتقول العرب: هاجت باردةً أي هاجت الريح باردةً. (تفسير القرطبي ١٥/١٩٥، ٣٠/١٢٩).

(٤) أي عود الضمير على اللفظ دون المعنى كقوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١] الضمير المنصوب في ﴿تخفوها﴾ عائد على التطوع، فيكون الضمير قد عاد على الصدقات لفظاً لا معنى، ومنه قول الشاعر:

كأن ثياب راكبه بريح خريق، وهي ساكنة الهبوب

يريد ريحاً أخرى ساكنة الهبوب. (البحر المحيط ٢/٣٢٤).

(٥) تمام الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] ومعنى الآية: ولا =

[المائدة: ٨] فعاد الضمير إلى العدل الذي دل عليه ﴿اعدلوا﴾[(١)] ومثله قوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا﴾ [المائدة: ١٠٦] أي لا نشتري بالقَسَم الذي دل عليه قوله ﴿فيقسمان بالله﴾[(٢)].

واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض[(٣)] ويتشبث بعضه ببعض لئلا يكون مقطعاً مبتراً، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد فيرتبط أوله بآخره[(٤)]، فإن وقع على أسباب مختلفة لم

= يحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة.

(١) قال الفرّاء: يُكَنّى عن الفعل في هذا الموضع بـ(هو) وبـ(ذلك) تصلحان جميعاً. قال في موضع آخر: ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة: ١٢] وفي الصف: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الصف: ١١]. (الكشاف ١/٢٢٦، البحر ٢/٣٨، جامع البيان ٦/١٤٢، معاني القرآن للفراء ١/٣٠٣).

(٢) وذكر أبو حيان أن الضمير (به) عائد على الله أو على القسم أو على تحريف الشهادة. (البحر ٤/٤٤، الكشاف ١/٦٨٨، العكبري ١/١٢٨).
ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران: ١٨٠] قال سيبويه: كأنه قال: ولا يحسبنَّ الذي يبخلون البخل هو خيراً لهم.ولم يذكر البخل اجتزاءً بعلم المخاطب بأنه البخل لذكره يبخلون. وجاء في فصيح الكلام قولهم: من كذب كان شراً له، يريد كان الكذب شراً له؛ إلا أنه استغنى بأن المخاطب قد علم أنه الكذب. (الكتاب ٢/٣٩١).

(٣) ارتباط الكلام بعضه ببعض هو ما عرَّفه الإمام البلاغي عبد القاهر الجرجاني بالنظم، وهو أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها.
وهذه المزايا في النظم تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض. (دلائل الإعجاز ٦٤، ٦٩).

(٤) نقل السيوطي كلام الإمام العز في بيان الوجه الرابع من وجوه إعجاز القرآن وهو مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني. (معترك الأقران ١/٤٤).

يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلاَّ بربطٍ ركيك يُصانُ عن مثله حَسَنُ الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول عليه السلام في نيِّفٍ وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض؛ إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب[1] ولذلك أمثلة:

المثال الأول:

أن الملوك يتصرفون في مدة ملكهم بتصرفات مختلفة متضادَّة، وليس لأحدٍ أن يربط بعضَ ذلك ببعض.

المثال الثاني:

الحاكم يحكم في يومه بوقائع مختلفة متضادة، وليس لأحد أن يلتمس ربط بعض أحكامه ببعض.

المثال الثالث:

أن المفتي يفتي في مدة عمره أو في يوم من أيامه أو في مجلس من مجالسه بأحكام مختلفة وليس لأحدٍ أن يلتمس ربط بعض فتاويه ببعض[2].

---

(١) لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يظل الوحي متجاوباً مع الرسول ﷺ يعلمه كل يوم شيئاً جديداً، ويرشده ويهديه ويثبته ويزيده اطمئناناً، ومتجاوباً مع الصحابة يربيهم ويصلح عاداتهم ويجيب عن وقائعهم ولا يفاجئهم بتعاليمه وتشريعاته، فكان مظهر هذا التجاوب نزوله منجماً وبحسب الحاجة ليقرأه النَّبي ﷺ ويقرأه الصحابة شيئاً بعد شيء، يتدرج مع الأحداث والوقائع والمناسبات الفردية والاجتماعية التي تعاقبت في حياة الرسول خلال ثلاثة وعشرين عاماً على الأصحّ.

(٢) ينظر كتاب (أعلام الموقعين) فصل فوائد وإرشادات تتعلق بالإفتاء ٤/١٥٧ـ٢٦٦، وكتاب آداب المفتي والمستفتي لأبي عبد الله بن حمدان.

المثال الرابع :

أن الإنسان يتصرف في خاصته بطلب أمور موافقة ومختلفة ومتضادة، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات ببعض[١] والله أعلم والحمد لله وحده.

فائدة: أسماء القرآن أربعة[٢]:

أحدها: (الذكر)[٣] قيل لأنه شرف لمن آمن به، وقيل لأن الله ذكَّرَ به عباده وعرفهم فيه فرائضه وحدوده.

الثاني: (الفرقان)[٤] لأنه فرَّق بين الحق والباطل، قاله الجميع.

---

(١) كان رسول الله ﷺ إذا سُئل عما مسَّت الحاجة إليه بادر بالجواب، وإن لم يكن عنده علم صبر حتى ينزل عليه الوحي بجواب الواقعة، وكذلك المُفْتون بعده إذا سُئِلوا عما لا يعلمون صبروا حتى يجتهدوا في معرفة حكم الواقعة، فإن كان الجواب مما يجب على الفور فالاجتهاد في معرفة الحكم واجب على الفور. . (القواعد الكبرى ٣٥٨).

(٢) ينظر القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه: جامع البيان للطبري ١/ ٤١.
ولقد بالغ بعض العلماء في ذكر أسماء القرآن؛ وذلك بجعل الأوصاف الواردة في القرآن أسماءً له، وأوصلها بعضهم إلى نيفٍ وتسعين اسماً.
والقرآن بأيِّ اسم سمَّيتَه هو الكلام المعجز المنزل على النَّبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته، المنقول عنه بالتواتر. . وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية. (البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٧٣، الإتقان للسيوطي ١/ ٥١، مباحث في علوم القرآن د. صبحي الصالح ٢١).

(٣) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فالقرآن ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وصدَّقَ بما فيه.

(٤) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] قال الطبري: القرآن سمي فرقاناً لفصله بحجته وأدلته وحدوده وفرائضه وسائر معاني حكمه بين المحق والمبطل، وفرقانه بينهما بنصرة الحق وتخذيله المبطل حكماً وقضاءً. (جامع البيان ١/ ٤١).

الثالث: (الكتاب)[1] والكتاب مصدر كتبتُ، سُمي به المكتوب ههنا، قلت: إما لأنه كتب في اللوح المحفوظ،أو لأن الله كتب أحكامه وتكاليفه على عباده، أي أوجبها عليهم، والكتابة في اللغة الجمع ومنه كتبتُ السِّقاء إذا جمعته بالخُرَزِ، ومنه: / واكتُبْها بأسْيَارِ[2]/ .

الرابع: (القرآن)[3] وهو مصدر قرأت بمعنى بيّنتُ، عن ابن عباس[4] ومنه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾[5] [القيامة: ١٨] أي بيّناه قلت: لأنه بيان للناس لما يحتاجون إليه في أمور دينهم، وقال قتادة[6]: هو مصدر قرأت بمعنى ضممت وجمعت لأنه آياتٌ مجموعة، قلت: ولأنه جامع لخير الدنيا والآخرة ومنه قوله: /لم تقرأ جنيناً/ وقرء العدة لاجتماع الحيض في

---

(١) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

(٢) الشاهد لسالم بن دارة، تمامه:

لا تأمننَّ فزاريّاً خَلَوْتَ به ... على بعيرك واكتُبْها بأسْيارِ

وذلك لأن بني فزارة يُرمَونَ بغِشْيانِ الإبل. (الفاضل للمبرد ص ٥٠، والكامل له ٤٨١، لسان العرب، الأساس، تاج العروس، الجمهرة ١/ ١٨٢، ١٩٧، خزانة الأدب ١/ ٥٥٧).

(٣) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ، كان يلقب بالحبر والبحر لكثرة علمه، وكان على درجة عظيمة من الاجتهاد والمعرفة بمعاني كتاب الله. (أسد الغابة ٢/ ١٩٢-١٩٥).

(٥) القرآن في الأصل مصدر نحو كُفْران ورُجْحان، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به. (زاد المسير ٨/ ٤٢٢).

(٦) قَتَادَةُ بن دعامة أبو الخطَّاب السَّدُوسي البصري، مفسر، حافظ،ضرير، كان أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، توفي بواسط سنة ١١٨ هـ. (تقريب التهذيب ٢/ ١٢٣، شذرات الذهب ١/ ١٥٣-١٥٤).

الرحم، وما قرأت هذه الناقةُ سَلاً قط أي لم ينضم رحمها على ولد[1].

الزبور: من زبر الكتاب يَزْبُرُهُ إذا كتبه ومنه: / يزبُره الكاتب الحميري[2] /.

التوراة[3]: من ورى الزند إذا أخرج ناره لأنها ضياء[4].

الإنجيل: من نجلت الشيء إذا أخرجته، ونجل الرجل نسله كأنه أخرجهم قلت: لأن الله أظهره للناس وأخرجه إليهم من الغيب[5].

فصل في تقسيم سور القرآن

قال عليه السلام: «أعطاني ربي مكان التوراة السبع الطُّوَل، ومكان الإنجيل المثاني، ومكان الزبور المئين، وفضلني ربي بالمفصَّل»[6].

---

(١) قرأتُ الشيء إذا جمعته وضممتُ بعضه إلى بعض، كقولك: ما قرأت هذه الناقة سَلاً قطّ، تريد بذلك أنها لم تضمّ رحماً على ولد، كما قال عمرو بن كلثوم:
تُـريـكَ إذا دخَلْـتَ علـى خَـلاءٍ وقـد أمِنَـتْ عُيـونُ الكـاشحينـا
ذِرَاعَـيْ عَيْطَـلٍ أو مـاءَ بكـر هجـان اللـون لـم تقـرأ جنينـا
(جامع البيان ١/ ٤٢، لسان العرب: قرأ).

(٢) في مفردات القرآن: زبرت الكتابَ كتبته كتابة عظيمة، وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له زبور، وقد خُص الزبور بالكتاب المنزل على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] والزبر بلسان اليمن: الكتاب. (الفائق ٢/ ١٠٣، التاج: زبر، والقاموس: الزبْر، غريب القران ٥١٩، وفيه قال أبو ذؤيب الهذلي:
عـرفْـتُ الـديـار كـرقـم الـدّوا ة يـزبـرهـا الكـاتـب الحميـري

(٣) التوراة: الكتاب الذي ورثوه عن موسى عليه السلام. (مفردات القرآن: وري).

(٤) المصباح المنير (وري).

(٥) الإنجيل قيل مشتق من نجلته إذا استخرجته، وقال ابن قتيبة: كأن الله أظهر به عافياً من الحق دارساً. (غريب القرآن ٣٦، المصباح المنير: نجل).

(٦) حديث واثلة بن الأسقع عن النّبي ﷺ قال: «أُعطيتُ مكان التوراة السبع الطوال، وأُعطيت مكان الزبور المئين، وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلتُ

السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأصح[1] أن السابعة سورة يونس، قاله ابن جبير وابن عباس سميت طولاً لطولها على سائر السور[2].

المئون[3]: كل سورة عدد آيها مئة أو تزيد شيئاً أو تنقص شيئاً.

المثاني[4]: السور التي ثنى الله فيها الفرائض والحدود والقصص والأمثال، قاله ابن جبير وابن عباس، وقال الحسن البصري[5]: المثاني فاتحة الكتاب، وقيل ما ثنيت فيه المئة إلى المئتين أو ما قاربها فكأن المئين أوائل والمثاني لها ثوان.

= بالمفصَّل» (مسند أحمد ٤/ ١٠٧، فضائل القرآن للقاسم بن سلاّم ١٢٠، تفسير الطبري ١/ ٤٤ـ٤٦، تفسير ابن كثير ١/ ٦٢، بداية السول ٥٩ـ٦٠).

(١) ذكر ابن قتيبة أن آخرها براءة، وكانوا يرون أن الأنفال وبراءة سورة واحدة؛ لأنهما نزلتا جميعاً في مغازي رسول الله ﷺ، ولذلك لم يفصلوا بينهما. (غريب القرآن ٣٥، جامع البيان ١/ ٤٥، الإتقان ١/ ٦٥، مجاز القرآن ٦، فضائل القرآن حاشية ١٢٠).

(٢) سورة البقرة آياتها ست وثمانون ومئتا آية، سورة آل عمران مئتا آية، النساء خمس وسبعون ومئة آية، المائدة عشرون ومئة آية، الأنعام خمس وستون ومئة آية، والأعراف ستٌّ ومئتا آية ويونس ١٠٩ آية.

(٣) المئون هي ما ولي السبع الطول. (غريب القرآن ٣٥، الإتقان ١/ ٦٥).

(٤) تعددت معاني المثاني، منها ما ولي المئين لأنها ثنتها؛ أي كانت بعدها، فهي لها ثوانٍ والمئون لها أوائل، وقال الفراء: هي السور التي آيُها أقل من مئة آية؛ لأنها تثنى أكثر مما يثنى الطول والمئون، وقد سمى الله عز وجل القرآن كله مثاني في قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] وسمى فاتحة الكتاب مثاني في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] وسمى جميع القرآن مثاني؛ لأنَّ الأنباء والقصص ثُنِّيَت فيه. (غريب القرآن ٣٥، جامع البيان ١/ ٤٥، اللسان: ثنى).

(٥) الحسن البصري، الأنصاري، ثقة فقيه فاضل مشهور، مات سنة عشر ومئة، وقد قارب التسعين. (تقريب التهذيب ١/ ١٦٥).

المفصَّل: سُمِّي مفصلاً لكثرة فصوله بالبسملة[1]، وآخره سورة الناس وأوله عند الأكثرين سورة محمد ﷺ[2] وعند كثير من الصحابة قٓ وعند ابن عباس سورة الضحى، وكان يفصل من الضحى بين كل سورتين بالتكبير[3] وهو رأي قراء مكة[4].

السؤرة بالهمز تميمية مأخوذة من السؤر لأنها كقطعة بقيت من القرآن[5] والسؤر البقية قال الأعشى[6]:

فَبانَتْ وقَد أسَأَرَتْ في الفُؤَا ... دِ صَدْعاً على نابِها مُسْتَطِيرا

وقريش وغيرها لا يهمزونها؛ إما لكونها مخففة من المهموز، أو لأنها مأخوذة من سور البناء لأنه يبنى قطعة بعد قطعة، أو من السورة وهي المنزلة

---

(١) قال ابن قتيبة: سميت مفصَّلاً لقصرها، ولكثرة الفصول فيها بسطر (بسم الله الرحمن الرحيم). (كتاب غريب القرآن ٣٦).

(٢) اختلف في أول المفصل على اثني عشر قولاً، أحدها ما ذكره العز أنه سورة محمد، وقال الراغب: المفصل من القرآن السبع الأخير. (المفردات: فصل، الإتقان ١/ ٦٥).

(٣) قال الداني في باب ذكر التكبير في قراءة ابن كثير: إنه كان يكبر من آخر ﴿والضحى﴾ مع فراغه من كل سورة إلى آخر ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ويَصِل التكبير بآخر السورة، والأحاديث الواردة عن المكيين بالتكبير دالة على ما ذكره الداني. (التيسير ٢٢٦-٢٢٧، الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢/ ٢٩١).

(٤) كابن كثير المتوفى ١٢٠ هـ انظر باب التكبير وما يتعلق به في كتاب النشر لابن الجزري ٢/ ٤٠٥.

(٥) قال الراغب: السورة كأنها قطعة مفردة من جملة القرآن، وقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور: ١] أي جملة من الأحكام والحكم. (المفردات: سور).

(٦) الشعر لأعشى بن ثعلبة يصف امرأةً فارقتْهُ، فأبقَتْ في قلبه من وَجْدِها بَقيَّةً. (جامع البيان ١/ ٤٧).

الرفيعة وبها سميت سور القرآن لارتفاعها وعلو قدرها، ومنه سور البلد لارتفاعه على ما يحويه قال النابغة:

أَلَــم تَــرَ أنَّ الله أعطــاكَ سُــورَةً ترى كل مُلكٍ دونَها يتذبذَبُ[1]

الآية: قيل إنها القصة أو الرسالة، وقيل الآية العلامة[2]، فآيات القرآن علامات لتمام ما قبلها ومنه: ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾[3] [المائدة: ١١٤] أي وعلامة منك على أنك أجبت دعاءنا.

فصل في انقسام التفسير

قال عليه الصلاة والسلام: «القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه»[4] فقيل: الذلول المطيع لمن يقرؤه من جميع أهل اللغات، وقيل: الموضح لمعانيه فلا يقصر عن فهمها المجتهدون، وذو الوجوه قيل: الجامع لوجوه الأمر والنهي والتحليل والتحريم، وقيل: هو

---

(١) البيت من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن المنذر يعني بذلك أن الله أعطاه منزلةً من منازل الشرف التي قصَّرت عنها منازل الملوك. (ديوان النابغة ١٧، مجاز القرآن ١/ ٤، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٥، جامع البيان ١/ ٤٦، الصاحبي في فقه اللغة ١٦٨، ديوان المعاني ١/ ١٦، لسان العرب، تاج العروس: سور).

(٢) ومنه قول كعب بن زهير بن أبي سلمى:
أَلاَ بلِّغــا هــذا المعــرض آيــةً أيقظانَ قال القول إذ قال أم حُلْم ؟
وكل جملة من القرآن دالة على حكم آية. وجماعة الحروف آية، قال الشيباني: وهو من قولهم: خرج القوم بآيَتِهم، أي بجماعتهم. (غريب القرآن ٣٤).

(٣) تمام الآية: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ﴾ [المائدة: ١١٤] (ينظر جامع البيان ١/ ٤٧).

(٤) حديث «القرآن ذلول ذو وجوه» أخرجه أبو نعيم من حديث ابن عباس، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما من شيءٍ من كتاب الله إلا وقد جاء على أذْلالِه، أي على طُرُقِه ووجوهه. (الفائق في غريب الحديث ٢/ ١٤، أساس البلاغة: ذلل).

الذي تحتمل ألفاظُه وجوهاً من التأويل، وأما حمله على أحسن وجوهه فبأن يُحمَل على أحسن معانيه[1] وقيل بأن يعمل بأحسن ما فيه كالعزايم دون الرخص والعفو دون الانتقام[2].

وتتوقف معرفة القرآن على معرفة اللغة[3] والإعراب[4]، قال ابن عباس: إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه ديوان العرب[5] فما كان موجباً للعمل جاز أن يستدل عليه بالآحاد[6] وبالبيت والبيتين من الشعر، وما كان موجباً للعلم فلا يستدل عليه بمثل ذلك، ثم

---

(١) إنَّ في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتَّسعاً بالغاً، وإن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل، والسماع لابد منه في ظاهر التفسير لينتفي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ويتحقق قوله ﷺ: «إن القرآن ذو وجوه..».

(٢) وفي هذا دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى. (الإتقان ٢/ ١٨٠).

(٣) بمعرفة اللغة يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، ومن هنا قال مجاهد: لا يحل لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عارفاً بلغات العرب.

(٤) الإعراب من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب، وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام.. وقد قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وأعربه فله بكل حرف عشر حسنات..» (جمع الجوامع ١/ ٨١٨، المزهر ١/ ٣٢٧ـ٣٢٨).

(٥) قال ابن عباس: إذا سألتموني عن غريب القرآن والعربية فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب. (غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٢٦).

(٦) الآحاد: ما تفرَّد بنقله بعض أهل اللغة ولم يوجد فيه شرط التواتر، وهو دليل مأخوذ به حتى في الحديث النبوي فقد ينفرد به شاهد واحد، فلو لم يقبل لفات على أهل الإسلام تلك المصلحة العامة في المأمورات والمنهيات والحلال والحرام. (قواعد الأحكام ٣٩٤، الرسالة للشافعي ٥١، المزهر ١/ ١١٤).

من القرآن ما لا يعلمه إلا الله[1] كقيام الساعة[2]، ومنه ما يجب علمه على الكافة كمعرفة الأحكام العامة[3] ودلائل التوحيد[4]، ومنه ما تختص به العلماء كبيان المجمل[5] وتخصيص العام[6] وتأويل المتشابه[7].

---

(١) وهذا لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه، وحجب علمه عن جميع خلقه.. ومثله نزول عيسى بن مريم،ووقت طلوع الشمس من مغربها..
ووجه آخر ما خص الله بعلم تأويله نبيه ﷺ دون سائر أمته، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلاَّ ببيان الرسول ﷺ، والثالث ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه ونحو ذلك. (جامع البيان ١/ ٤١).

(٢) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤] وقال: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

(٣) الأحكام العامة كأحكام العبادات والمعاملات، وقد صنف فيها الإمام العز كتاباً قيماً جمع فيه أحكام الإسلام سماه القواعد الكبرى.

(٤) إن تعريف التوحيد وصفات الإله من أفضل المقاصد،والتوسل إليه من أفضل الوسائل. (القواعد الكبرى ١٧٦ـ١٧٧).

(٥) المجمل ما لم تتضح دلالته، نحو قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، يحتمل أن يكون الولي وأن يكون الزوج، وقد حمله الشافعي على الزوج، ومالك على الولي لما قام عندهما، ويرى العز أن (حمل المجمل على أحد محتمليه المتساويين غير جائز).
من جملة ما يذكر حول المجمل والمفصل قوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] ثم قال: ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٣] فهذه المقولة المتقدمة ذُكرت بنوع من التفصيل. (الفوز الكبير في أصول التفسير ٩٩ـ١٠٠، قواعد الأحكام ٤٣٩، التحبير في علم التفسير ١٠٣، تفسير الطبري ١/ ٣٨).

(٦) أي ما وضع في الأصل عاماً ثم خص في الاستعمال ببعض أفراده، وقد ذكر ابن دريد مثالاً على ذلك لفظة (الحج) أصله قصدك الشيء وتجريدك له ثم خص بقصد البيت، ولفظ (السبت) فإنه في اللغة الدهر ثم خص في الاستعمال لغة بأحد أيام الأسبوع وهو فرد من أفراد الدهر. (المزهر ١/ ٤٢٧).

(٧) في البيان القرآني محكم ومتشابه قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ ﴾ [آل عمران: ٦].

والألفاظ ضربان: أحدهما: ما لا يحتمل إلا معنى واحداً فيجب حمله عليه[١].

الثاني: ما يحتمل معنيين فما زاد فإن ظهر في أحد محتمليه وخفي في الآخر وجب حمله على الظاهر، ما لم يمنع منه دليل، وإن استوى المعنيان في الظهور والخفاء فإن كان أحد اللفظين لغوياً والآخر عرفياً حمل على العرفي، وإن كان أحدهما لغوياً أو عرفياً والآخر شرعياً حمل على الشرعي[٢] وإن استوى استعمال اللفظين لغةً وعرفاً أو لغة وشرعاً

= والمحكم لا تتوقف معرفته على البيان، والمتشابه لا يرجى بيانه، فيقرب معناه بالتأويل ولابد له من ضوابط. قال ابن دقيق العيد: إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم يُنكر أو بعيداً توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه، وما كان معناه من الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقيف، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦] فتحمله على حق الله وما يجب له. (الإتقان ٢/ ٢ـ٦).

(١) في المزهر للسيوطي ١/ ٤١ ما نصه:
قال الإمام فخر الدين الرازي: لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ؛ لأن المعاني التي يمكن أن تُعقَلَ لا تتناهى والألفاظ متناهية.
في حين يرى ابن حزم الأندلسي أنه: (لو كانت اللغة أوسعَ حتى يكون لكل معنى في العالم اسم مختص به لكان أبلغ للفهم وأجلى للشك) وليت ذلك كان فحقق أمنية عالمنا القرطبي قبل تسعمئة عام وأمنيات علماء اللغة اليوم. (نظرات في اللغة عند ابن حزم، سعيد الأفغاني ٢٨).

(٢) الفرق بين الاسم الشرعي والاسم العرفي، أن الاسم الشرعي ما نقل عن أصله اللغوي، فسمي به فعل أو حكم حدث في الشرع نحو الصلاة والزكاة والصوم والإسلام والكفر وما يقرب من ذلك، وكانت هذه الأسماء تجري قبل الشرع على أشياء ثم جرت في الشرع على أشياء أخر. والاسم العرفي ما نُقل عن بابه بعرف الاستعمال نحو قولنا: دابَّة؛ وذلك أنه قد صار في العرف اسماً لبعض ما يدب وكان في الأصل اسماً لجميعه، وجميع أسماء الشرع تحتاج إلى بيان. (الفروق في اللغة ٥٦ـ٥٧، وانظر المثال السادس عشر: حمل الألفاظ الحقيقية على مجازها، كتاب قواعد الأحكام ٥٧٣ـ٥٧٤).

كالقُرء[1] فإن لم يمكن جمعُهما حَمَلَهُ المجتهدُ على أحدهما بما يدل عليه.

فإن اختلف فيه مجتهدان فمرادُ الله من كل واحد منهما ما أدَّى إليه اجتهادُه وإن لم يترجح أحدهما فهل يتخيَّر بينهما أو يأخذُ بالأغلظ ؟ فيه مذهبان وإن أمكن الجمع بينهما ولم يترجَّح أحدهما على الآخر فكلاهما مراد الله؛ لأنه لو أراد أحدَهما لنصب عليه دليلاً وإن تَرَجَّحَ أحدهما بدليل فإن دل على بطلان الآخر دليل لم يجز الحمل عليه، وإن لم يدل على بطلانه دليل جاز أن يكون مراداً مع ما دلَّ الدليل على رجحانه.

عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قالَ في القرآن برأيه فَلْيَتَبوَّأ مقعده من النار»[2] وقال الشعبي[3]: لأن أكذب مئة كذبة [على] محمد ﷺ أحبُّ إليَّ من أن أكذب كذبةً واحدةً في القرآن إنما يُفضي الكاذب في القرآن إلى الله[4].

---

(١) يُطلق القُرْء على الطهر والحيض، فهو ضدّ؛ ذلك لأن القرءَ لغةً هو الوقت، وهذا قد يكون للطهر، وقد يكون للحيض، يقال: أقرأتِ المرأة إذا طهرت، وإذا حاضت، فهي مقرىء، وعن الأخفش أنه يقال: أقرأت المرأة إذا صارت صاحبة حيض ـ أي إذا بلغت السن التي تحيض فيها النساء ـ فإذا حاضت قيل: قرأت. وفي قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فسرها الشافعي بالطهر وفسرها أبو حنيفة بالحيض. (انظر زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٢٢٤ـ٢٢٨، الصحاح والتاج: قرأ، الحدود الأنيقة ٨٠ الحاشية ٥، إرشاد الفحول ١٩).

(٢) الحديث رواه الترمذي بلفظ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» (وانظر باب تأويل القرآن بالرأي كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٢٧، الجامع الصغير ٢/ ٥٤٢).

(٣) هو عامر بن شراحيل، أبو عمرو، أكبر شيوخ أبي حنيفة، وأحد المشهود لهم بالإمامة في الحديث والفقه، روى عن علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وقال: إنه أدرك خمسمئة من الصحابة. (شذرات الذهب ١/ ١٢٦، الأعلام ٣/ ٢٥١).

(٤) هذا الكلام فيه نظر؛ ذلك أن جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنَّ الكذب على =

قال ابن عباس: تفسير القرآن على أربعة وجوه؛ فتفسير يعلمه العلماء، وتفسير يعرفه العرب، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته بقولٍ من الحلال والحرام، وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله، فمن ادعى علمه فهو كاذب[١].

قال أبو إدريس الخولاني[٢]: القرآن ست آيات: آية تأمرك وآية تنهاك وآية تبشرك وآية تنذرك وآية فريضة وآية قصص وأخبار أو قال: أمثال. قال أبو العالية[٣]: نزلت الصحف في أول ليلة من شهر رمضان ونزلت التوراة لستٍّ ونزل الزبور لثنتي عشرة ونزل الإنجيل لثماني عشرة ونزل القرآن لأربع وعشرين من شهر رمضان[٤]. وقال السُّدي[٥] والأعمش[٦] وسعيد

= رسول الله ﷺ من الكبائر، ولا يكفر من فعل ذلك إلا إذا كان مستحلاً الكذب عليه، وقد قال رسول الله ﷺ: «إنَّ كذباً عليَّ ليس ككذبٍ على أحد، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (يُنظر جامع البيان ١/ ٣٤ـ٣٦، فتح الباري ٦/ ٣٢٩).

(١) ذكره الطبري في جامع البيان بلفظ: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله. (جامع البيان ١/ ٣٤).

(٢) أبو إدريس عائذ بن عبد الله الخولاني، ولد في حياة النَّبي ﷺ يوم حنين، وسمع من كبار الصحابة ومات سنة ثمانين، كان عالم الشام بعد أبي الدرداء. (تقريب التهذيب ١/ ٣٩٠، حلية الأولياء ٥/ ٢٣).

(٣) رفيع بن مهران الرياحي من كبار التابعين، أسلم بعد النَّبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر، وصلى خلف عمر، أخذ القرآن من أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس، قيل: ليس بعد الصحابة أعلم منه بالقرآن، مات سنة تسعين وقيل سنة ست وتسعين. (غاية النهاية ١/ ٢٨٤، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٤ـ٢٨٥).

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٢٣، ورواه أحمد والبيهقي في الشعب باختلاف في اللفظ.

(٥) السُّدِّي: إسماعيل بن عبد الرحمن، تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة، وهو صاحب التفسير والمغازي والسير، كان إماماً عارفاً بالسير والوقائع وأيام الناس، توفي سنة ١٢٨ هـ. (الأعلام ٢/ ٣١٧).

(٦) الأعمش: سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي الكوفي، الإمام الجليل، أخذ =

ابن جبير[1]: نزل جبريل بالقرآن جملةً واحدةً ليلة القدر فَجُعِلَ بموضع النجوم من السماء الدنيا في بيت العزة، فجعل جبريل ينزل به رتباً رتباً، ولم يذكر بيت العزة إلا الأعمش. قال قتادة[2]: ما من آية في القرآن إلا وقد سمعت فيها أشياء[3]، وعنه: جالست الحسن ثنتي عشرة سنة صليت الصبح منها معه ثلاث سنين، قال: ومثلي أخذ عن مثله، وقال سفيان[4] في بعض الحديث: من قال في القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر وإن أخطأ عليه وِزْرٌ. قال الزُّهري[5]: مست ركبتي[6] ركبة سعيد بن

= القراءة عن عاصم بن أبي النجود وإبراهيم النخعي ومجاهد وأبي العالية، وروى عنه حمزة الزيات، قال هشام: ما رأيت بالكوفة أحداً أقرأ لكتاب الله عز وجل من الأعمش، مات سنة ١٤٨ هـ. (غاية النهاية ١/ ٣١٦، وفيات الأعيان ٢/ ٥٦٧).

(١) سعيد بن جبير أبو عبد الله، تابعي، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، ثم كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء يعني سعيداً. (الأعلام ٣/ ٩٣، وفيات الأعيان ١/ ٣٦٤).

(٢) قَتَادة بن دِعامَة أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر حافظ. قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، مات بواسط سنة ١١٨ هـ. (الأعلام ٥/ ١٨٩، المعارف ٢٠٣، معجم الأدباء ٦/ ٢٠٢).

(٣) في شذرات الذهب١/ ١٥٤: «ما في القرآن آيةٌ إلاَّ وسمعتُ فيها شيئاً». (شذرات الذهب ١/ ١٥٤).

(٤) سفيان بن سعيد الثوري أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، له من الكتب الجامع الصغير والجامع الكبير، وكلاهما في الحديث، وكان آية في الحفظ. توفي سنة ١٦١ هـ. (المعارف لابن قتيبة ٢١٧، الأعلام ٣/ ١٠٥).

(٥) الزهري محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب أبو بكر، أول من دوَّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، من كبار التابعين من أهل المدينة، توفي سنة ١٢٤ هـ. (شذرات الذهب ١/ ١٦٢).

(٦) يريد أنه جالسه للدرس وطلب العلم المدة المذكورة، وروي عن الزهري أنه قال: تبعت سعيد بن المسيب في طَلَبِ حَديثٍ وَاحدٍ ثلاثة أيام. (العلم والعلماء ٢٧١).

المسيب[1] ثماني سنين.

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

* * *

(١) سعيد بن المسيِّب المخزومي القرشي، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، توفي بالمدينة. (الأعلام ٣/١٠٢).

المحتوى

١ـ مسرد الآيات القرآنية الكريمة

آل عمران

النساء

المائدة

يونس

هود

يوسف

إبراهيم

الحجر

النحل

الإسراء

الكهف

مريم

طه

الأنبياء

الحج

المؤمنون

النور

فصلت

الشورى

الزخرف

الجاثية

محمد

الفتح

الحجرات

الطور

القمر

الرحمن

الواقعة

الحشر

الصف

الجمعة

التغابن

الطلاق

التحريم

نوح

الجن

القيامة

العلق

الزلزلة

التكاثر

الكافرون

الصمد

* * *

٢ ـ مسرد الأحاديث النبوية

* * *

٣ـ مسرد الأعلام

٤ـ مَسْرَد الأشعار

* * *

٥ـ مسرد المصادر والمراجع

أ

أبجد العلوم	القِنّوجي دمشق وزارة الثقافة ١٩٨٨ م.
الإتقان في علوم القرآن	السيوطي بيروت دار الفكر ١٩٧٩ م.
الإحكام في أصول الأحكام	الآمدي بيروت ط ١ ١٣٨٧ هـ.
إحياء علوم الدين	الغزالي دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٧٨ م.
آداب المفتي والمستفتي	ابن الصلاح عالم الكتب ط ١ ١٩٨٦ م.
الإرشاد	الجويني
إرشاد الفحول	الشوكاني بيروت ـ دار الفكر.
أساس البلاغة	الزمخشري بيروت دار المعرفة ١٩٧٩ م.
أسباب النزول	الواحدي
أسد الغابة	ابن عبد البر مصر ـ دار الشعب.
الأسماء والصفات	البيهقي بيروت ـ دار إحياء التراث العربي.
الإشارة إلى الإيجاز	العز بن عبد السلام المدينة المنورة ـ المكتبة العلمية ١٣١٣ هـ.
إعجاز القرآن	الباقلاني بيروت ـ دار الفكر ١٩٧٩ م.
إعجاز القرآن والبلاغة النبوية	الرافعي بيروت ـ دار الكتاب العربي.
الأعلام	الزركلي بيروت ـ دار العلم للملايين ط ٥ ١٩٨٠ م.
أعلام الموقعين	ابن القيم تح محمد محي الدين عبد الحميد.
الإمام في بيان أدلة الأحكام	العز بن عبد السلام دمشق ـ دار البشائر الإسلامية ط ١ ١٩٨٧ م.
الأمثال في القرآن	الماوردي.
إملاء ما من به الرحمن	العكبري مصر ـ المطبعة الميمنية ١٣٠٦ هـ.

ب

البحر المحيط	أبو حيان الأندلسي الرياض ـ مكتبة النصر الحديثة.
بدائع الفوائد	ابن القيم بيروت ـ دار الكتاب العربي.
بداية السول في تفضيل الرسول	العز بن عبد السلام دمشق ـ المكتب الإسلامي ط ٤ ١٩٨٦ م.
بدع التفاسير	الصديق الغماري القاهرة ـ دار الطباعة المحمدية ط ١ ١٩٦٥ م.

البديع ابن خالويه القاهرة ـ مكتبة المتنبي .
البرهان في علوم القرآن الزركشي مصر ط ٢ مكتبة عيسى البابي الحلبي .
البرهان المسدد النبهاني دار الجفان والجابي ط ١٩٨٧ م .
بغية الوعاة السيوطي بيروت ـ المكتبة العصرية ١٩٦٤ م .
البيان والتبيين الجاحظ دار الفكر ـ بيروت ١٩٦٨ م .

ت

تأويل مشكل القرآن ابن قتيبة بيروت ـ دار الكتب العلمية ط ٣ ١٩٨١ م .
تاج العروس الزبيدي مطبعة حكومة الكويت .
التحبير في علم التفسير السيوطي بيروت ـ دار الكتب العلمية ط ١ ١٩٨٨ م .
التطور النحوي برجستر القاهرة ـ مكتبة الخانجي ١٩٨٢ م .
التعريفات الجرجاني بيروت ـ دار الكتب العلمية ط ١ ١٩٨٣ م .
تفسير الآلوسي الآلوسي بيروت ـ دار الفكر ط ١٣٩٨ هـ .
تفسير ابن كثير ابن كثير بيروت ـ دار الفكر ط ١٣٨٩ هـ .
تفسير غريب القرآن ابن قتيبة بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٩٧٨ م .
التفسير القيم ابن القيم بيروت ـ لجنة التراث العربي ١٩٤٨ م .
تفسير النسفي النسفي بيروت ـ دار الكتاب العربي ١٩٨٢ م .
التفسير والمفسرون الذهبي بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ١٩٧٦ م .
التقرير في التكرير ابن عابدين دمشق ـ مكتبة الغزالي ط ١ ١٩٩٢ م .
التمهيد الأسنوي دمشق ـ مؤسسة الرسالة .
تهذيب اللغة الأزهري القاهرة ١٩٦٦ م .
التيسير الداني بيروت ـ دار الكتاب العربي ط ٣ ١٩٨٥ م .

ج

جامع البيان الطبري بيروت ـ دار الفكر ١٩٨٤ م .
الجامع الصغير السيوطي دمشق ـ مكتبة الحلبوني .
الجامع لأحكام القرآن القرطبي بيروت ـ دار إحياء التراث العربي .
جمع الجوامع السبكي
جمهرة اللغة ابن دريد حيدرآباد ١٣٤٤ هـ نسخة مصورة عنها ـ دار صادر ـ بيروت .

ح

الحجة في علل القراءات السبع — الفارسي مصر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ م.
الحجة في علل القراءات السبع — ابن خالويه دمشق ـ مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٩٨٢ م.
حجة القراءات — ابن زنجلة مؤسسة الرسالة ط ٣ دمشق ١٩٨٢ م.
حجج القرآن — الرازي دار الرائد العربي ـ بيروت.
الحدود الأنيقة — زكريا الأنصاري دار ابن كثير ـ دمشق.
الحدود في الأصول — ابن رشد دار الكتب العلمية.

خ

خزانة الأدب — البغدادي دار صادر ـ بيروت الطبعة الأولى.

د

الدر المنثور — السيوطي.
الدرر المباحة — النحلاوي دمشق ـ المطبعة العلمية ط ٣ ١٩٨٧ م.
دلائل الإعجاز — الجرجاني دار قتيبة ط ١ ١٩٨٣ م.

ر

الرسالة — الشافعي مصر ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط ٢ ١٩٨٣ م

ز

زاد المسير — ابن الجوزي دمشق ـ المكتب الإسلامي ط ٤، ١٩٨٧ م.
زاد المعاد — ابن القيم بيروت ـ دار إحياء التراث العربي.

س

السبعة في القراءات — ابن مجاهد القاهرة ـ دار المعارف ط ٢ ١٤٠٠ هـ.
سراج القاري — الشاطبي بيروت ـ دار الفكر ١٩٨١ م.
سنن أبي داود — أبو داود مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
سنن الترمذي — الترمذي تح أحمد شاكر دار إحياء التراث العربي.

ش

شجرة المعارف والأحوال | العز بن عبد السلام دمشق ـ دار الطباع ط ١ ١٩٨٩ م.
شذرات الذهب | ابن العماد الحنبلي بيروت ـ دار الآفاق.
شرح الجوهرة (جوهرة التوحيد) | الباجوري دار الكتاب العلمية ـ بيروت ط ١ ١٩٨٣ م.
شرح صحيح مسلم | النووي مصر ١٩٧٣ م.
شرح المقدمة الجزرية | زكريا الأنصاري دمشق ١٩٨٠ م.
الشفا في حقوق المصطفىٰ | القاضي عياض القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

ص

الصاحبي في فقه اللغة | ابن فارس مصر ـ ط: البابي الحلبي ١٩٧٧ م.
صحيح البخاري | البخاري طبع الشعب وغيرها.
صحيح مسلم | مسلم بيروت ـ دار المعرفة.

ع

العلم والعلماء | أبو بكر الجزائري بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٣ هـ

غ

غاية النهاية | ابن الجزري القاهرة ـ مكتبة المتنبي.
غريب القرآن | (انظر تفسير غريب القرآن).

ف

الفائق في غريب الحديث | الزمخشري بيروت ـ دار الفكر ط ٣ ١٩٧٩ م.
الفاضل في اللغة | المبرد تح عبد العزيز الميمني الراجكوتي.
فتح الباري | ابن حجر المطبعة السلفية ط ٢.
الفروق في اللغة | العسكري بيروت ـ دار الآفاق ط ٣ ١٩٧٩ م.
فضائل القرآن | القاسم بن سلام بيروت ـ دار الكتب العلمية ط ١ ١٩٩١ م.
فكرة إعجاز القرآن | نعيم الحمصي دمشق ـ مؤسسة الرسالة ط ٢ ١٩٨٠ م.
الفوائد المشوقة | منسوب لابن القيم دار الكتب العلمية ط ١ ١٩٨٢ م.
فواتح الرحموت | اللكنوي بولاق ١٣٢٢ هـ.

الفوز الكبير في أصول التفسير　الدهلوي دمشق ـ دار قتيبة ١٩٨٩ م.
في رحاب القرآن　محمد سالم محيسن القاهرة ـ مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٢ م.

ق

القاموس المحيط　الفيروزآبادي بيروت ـ دار الجيل.
قواعد الأحكام　العز بن عبد السلام دمشق ـ دار الطباع ط ١ ١٩٩٢ م.
قواعد التدبر الأمثل　عبد الرحمن حبنكة بيروت ـ دار القلم ط ١ ١٩٨٠ م.

ك

الكامل في اللغة　المبرّد دار نهضة مصر.
الكتاب　سيبويه بولاق ١٣١٦ هـ نسخة مصورة ـ بغداد.
كتاب الشعر　جميل سلطان
الكشاف　الزمخشري بيروت ـ دار الفكر.
كشف الخفاء　العجلوني دمشق ـ مؤسسة الرسالة ط ٤ ١٩٨٥ م.
الكشف عن وجوه القراءات السبع　مكي القيسي دمشق ـ مؤسسة الرسالة ط ٢ ١٩٨١ م.

ل

لسان العرب　ابن منظور مصر ـ دار المعارف.
اللغات في القرآن　رواية ابن حسنون بيروت ـ دار الكتاب الجديد ط ٢ ١٩٧٢ م.

م

مباحث في علوم القرآن　صبحي الصالح بيروت ـ دار العلم للملايين ط ١١ ١٩٧٩ م.
مجلة مجمع اللغة العربية.
مجلة نهج الإسلام.
مختصر الصواعق المرسلة　ابن القيم القاهرة ـ مكتبة المتنبي.
مدارج السالكين　ابن القيم بيروت ـ دار الكتاب العربي ١٩٧٢ م.
مرشد المريد　محمد سالم محيسن.
المرشد الوجيز　أبو شامة بيروت ـ دار صادر ١٩٧٥ م.
المزهر　السيوطي بيروت ـ دار الجيل ـ دار الفكر.
المستصفى　الغزالي مصر ـ ط ١ المطبعة الأميرية بولاق ١٣٢٤ هـ.

مسند أحمد	أحمد بن حنبل تصوير المكتب الإسلامي على الطبعة الميمنية.
مشكل الحديث وبيانه	ابن فورك مصر ـ دار الكتب الحديثة.
المصباح في المعاني والبيان	ابن مالك مكتبة الآداب ـ مصر.
المصباح المنير	الفيومي مصر ـ المطبعة البهية المصرية ١٣٠٢ هـ.
المعارف	ابن قتيبة.
معاني القرآن	الفراء بيروت ـ عالم الكتب ط ٣ ١٩٨٣ م.
معترك الأقران	السيوطي بيروت ـ دار الكتب العلمية ط ١ ١٩٨٨ م.
معجم الأدباء	ياقوت دار المأمون ـ مكتبة القراءة والثقافة المصرية.
معجم قبائل العرب	عمر رضا كحالة دمشق ـ مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٩٨٢ م.
معنى الإيمان والإسلام	العز بن عبد السلام
مغني اللبيب	ابن هشام بيروت ـ دار الفكر ط ٣ ١٩٧٠ م.
مفحمات الأقران	السيوطي بيروت ـ مؤسسة علوم القرآن ط ٢ ١٩٨٣ م.
المفردات	الأصبهاني بيروت ـ دار المعرفة.
المقاصد الحسنة	السخاوي دار الهجرة ـ بيروت ١٩٨٦ م.
الموافقات	الشاطبي بيروت ـ دار الكتب العلمية.

ن

نزهة الأعين النواظر	ابن الجوزي مؤسسة الرسالة ط ١ ١٩٨٤ م.
نزهة الألباء	الأنباري مصر ـ مطبعة المدني.
النشر في القراءات العشر	ابن الجزري بيروت ـ دار الكتب العلمية.
نظرات في اللغة عند ابن حزم	سعيد الأفغاني بيروت ـ دار الفكر ١٩٦٩ م.
نوادر الأصول	الترمذي بيروت ـ دار صادر.

و

وفيات الأعيان	ابن خلكان بيروت ـ دار صادر ١٩٧٨ م.

* * *

٦ـ مضمون الشرح والتحقيق

